# مسائل هامة في توحيد العبادة

بقلم الدكتور
محمد بن سعيد بن سالم القحطاني
قسم العقيدة - جامعة أم القرى

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

# مسائل هامة في

# توحيد العبادة

الطَّبْعَة الأُولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

# المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد: فإنَّ الاهتمام بعقيدة السلف الصالح من أهمِّ المهمَّات، وأوَّل الواجبات على المسلم الغيور على دينه وشرع ربه سبحانه. وللكلمة المسموعة اليوم شأن عظيم، فجدير بِمَنْ مكَّنهُ الله مِنْ هذه الوسائل أن يسخِّرها لخدمة هذا الدين، ونشر عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

وقد عرضَتْ عليَّ إذاعة القرآن الكريم بالمملكة ـ مشكورة ـ المساهمة في برامجها، فكان أن وقع اختياري على برنامج أسبوعيٍّ سمَّيته «دروس من عقيدة السلف الصالح»، وابتدأ بث هذا البرنامج من ١/١/١٤٠٨هـ، لمدة تزيد على السنتين ولله الحمد والمنة.

ومن التحدُّث بنعمة الله أنَّ هذا البرنامج قوبل بارتياح طيب من جمع من المستمعين، عرفت ذلك من خلال مراسلاتهم ومقابلاتهم. وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وقد ألحَّ عليَّ بعض من سمع هذا البرنامج أن أخرجه للناس في كتاب يُقرأ، فالعلم إذا دُوِّن بقي وانتفع به بإذن الله تعالى.

لذا رأيتُ ـ بعد أن وافقتْ إذاعة القرآن الكريم مشكورة على ذلك ـ أن أخرج مجموعة طيبة من حلقات هذا البرنامج بعنوان:

«مسائلِ هامَّة في توحيد العبادة» وهو الكتاب الذي بين يديك.

وقد حاولت في هذه الحلقات أن أقدِّم للقارىء عرضاً جديداً لكثير من مسائل الاعتقاد على نمط جديد يختلف عن أسلوب التأليف المعهود في كتب العقائد، محاولاً مزج هذه المسائل بمعالجة الواقع الحياتي للناس، فإن هذا هو الهدف الأسمىٰ للعقيدة: أن تخرج الناس من الواقع المنكود إلى طريق الحق المنشود.

وإنه لممَّا يحزن: أن بعضاً ممن يقومون بتدريس العقيدة، يعرضونها عرضاً لا يعالج انحرافات الناس ومزالقهم في باب الاعتقاد، بل وصل الحال في بعض بلاد المسلمين أن جعلوا قضايا العقيدة مسائل ذهنية مجردة تحشى بها الأذهان، ويمتحن فيها الطلاب للدرجات، أما واقعهم وسلوكهم فيناقض تلك العقيدة مناقضة تامة.

إن أمتنا اليوم بحاجة ماسة إلى مراجعة النفس، وعرض الواقع على الكتاب والسنة، لتصحيح المسار، وتقويم الاعوجاج، واستعادة كرامة المؤمن وعزته أمام قوى الكفر والشرك.

إن العقائد الزائفة الضالة تجتمع اليوم على حرب دين الله وأهله في الأرض، وإنه لن يقف في وجه الباطل المدجج إلا الحق المؤيد بعون الله ونصره، ولن يحصل ذلك إلا بتمام الاستسلام لرب العالمين، والانقياد لشريعة سيد المرسلين ﷺ، واجتماع الكلمة ووحدة الصف القائم على التوحيد الخالص، والإيمان الصادق الذي بعث الله به خير البرية ﷺ.

وقد يلاحظ القارىء الكريم قصر الموضوعات، لأنني أردت ذلك، ليحصل التشويق لمراجعة أمهات كتب العقيدة المعروفة وهي بحمد الله بحر لا تكدِّره الدلاء. كما سيلاحظ القارىء أنني قد اخترت بعض الموضوعات الشيقة التي عالجها علماء هذه الأمة وخاصة الإمام ابن القيم رحمه الله، لأنه صاحب قلم سيَّال وسحر حلال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، . .

كتبه

محمد بن سعيد القحطاني

مكة حرسها الله من كل مكروه

ضحى الثلاثاء ١٤١٤/١١/١٥هـ

# أهمية البدء بالعقيدة

لكل بنيان أساس، وأساس هذا الدين: عقيدة التوحيد الخالص، وإذا صلحت العقيدة فغيرها تبع لها، وإذا فسدت فسد العمل كله، والحديث عن هذه العقيدة وأهميتها له السبق على كل أهمية، وذلك للأسباب التالية:

١ـ هي الوظيفة الأولى لكل نبي ورسول؛ قال الله تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [النحل، ٣٦]. وهي الدين الذي ارتضاه الله لعباده، كما قال تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾** [الأنعام، ١٥٣].

٢ـ لأنها حق الله الذي أوجبه على عباده، كما قال ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»(١).

٣ـ لأنها طريق النجاة من النار. يقول ﷺ: «**فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٢).

٤ـ لأنها أول ما يجب الدعوة إليه كما قال ﷺ: «**فليكن أول**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله) ١٣/٣٤٧ ح ٧٣٧٣، ومسلم في الإيمان ح ٣٠.

(٢) البخاري في الرقاق باب (العمل الذي يُبتغى به وجه الله) ١١/٢٤١ ح ٦٤٢٣، ومسلم في الإيمان ح ٣٣.

**ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» وفي رواية: «**إلى أن يوحِّدوا الله**»[1]. وهي ملّة إبراهيم عليه السلام التي قال الله فيها: ﴿**أنِ اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**﴾ [النحل، ١٢٣].

٥- لأن الله حرّم مخالفتها كما قال تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً**﴾[2][الأنعام، ١٥١].

٦- لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وحيث أن أول هذه الأمة لم يصلح إلا بصفاء العقيدة وخلوص القلوب لعلام الغيوب، فهذا هو العلاج الوحيد لصلاح الأمة في كل زمان ومكان.

إن العقيدة ليست أموراً ذهنية مجردة، **بل** هي قوة فاعلة متحركة، إذا خالطت بشاشة القلب غيَّرته في كل شؤونه سواء من ناحية التصور والتلقي أم من ناحية العمل والتوجيه، أم من ناحية انطباق السلوك على ما في هذا القلب.

هذه العقيدة الصحيحة عقيدة سلف هذه الأمة هي التي حولت رعاة الإبل والغنم وعُبّاد الأحجار والأوثان إلى قادة مؤمنين، ملؤوا الدنيا صلاحاً ونجاحاً، وأنقذوا البشرية من عبودية البشر، وأدخلوهم في عبودية الواحد الأحد سبحانه، وانتشلوهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ﴿**فانظر إلى**

(١) البخاري في الزكاة باب (لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) ٣٢٢/٣ ح ١٤٥٨، ومسلم في الإيمان ح ١٩.

(٢) انظر «المدخل لدراسة العقيدة للدكتور إبراهيم البريكان» ص ٦٠-٦٢، دار السنة بالخبر.

**آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾** [الروم، ٥٠].

هذه العقيدة الحقّة هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقـام سوق الجنـة والنار، وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفـار، وأبرار وفجار، ومن أجلها وقعت الواقعة، وحقت الحاقة، وأسست الملة، وجردت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، وبها تقسم الأنوار **﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾**[1] [النور، ٤٠].

وإن المتأمل لسيرة رسول الله ﷺ ليدرك بكل جلاء ووضوح أنه ﷺ لم يبدأ أول ما بدأ إلا بالدعوة إلى توحيد الله **﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** [الأعراف، ٥٩]، وكان أول ما يطلب من الناس أن يقولوه هي كلمة التوحيد الخالدة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

هذه الكلمـة التي هي ـ بحق ـ مفتاح الجنة، وبها تتحقق عصمـة الدم والمال، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، وما عداهـا تبـع لها، فما هو معناها؟ وما مدلولها؟ وما هي شروطها؟ ونواقضها؟ أقول: لعل في هذه المقالات ما يجيب على هذه الأسئلة الهامة بإذن الله.

أما معنى هذه الكلمة فهو: أنه لا معبود بحق إلا الله، ومن

---

(١) انظر «الفوائد» لابن القيم، ص ١٤٣، و«معارج القبول» للحكمي ١/١٣.

ثم يخرج كل معبود بباطل. وهذا المعنى هو الذي فهمه صحابة رسول الله ﷺ، فإنهم أفصح العرب، ومِنْ أعلم الناس بمدلولات كلمات العرب. وللأسف فإن بعض المتأخرين فهم أن معنى لا إله إلا الله: أي: لا خالق إلا الله... أو لا موجود إلا الله... ولا شك أن هذا فهم سقيم، فقد ورد في كتاب الله ما يدل على أن كفار قريش وغيرهم من العرب كانوا يقرون بأنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله، قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ [لقمان، ٢٥]. فاعجب لأناس اليوم ينتسبون للإسلام وكفار قريش أعلم منهم بمعنى لا إله إلا الله!!

إن دين الله الحق بريء من هذا الفهم السقيم، لأنه دين عظيم، يتضمن إثبات الألوهية لله وحده، وذلك بأن لا يُعبد إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُوالى إلا فيه، ولا يُعادى إلا فيه، ولا يُعمَل إلا لأجله[1]. ولا يُحكم إلا بحكمه ولا يُذبح ولا يُنذر إلاّ له، ولا يُسجد ويُخضع إلا له. مع إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله، ثم الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

ولهذا فكلمة التوحيد لها فضل عظيم لا يدركه إلا من عرفها معرفة حقه، ولذا فبيان هذا الفضل في المقالة التالية، وبالله التوفيق.

---

(١) انظر «فتح المجيد» ص ١٢.

# فضل كلمة التوحيد

كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقـوى، وكلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ورأس الأمر، لأجلها خُلق الخلق، كمـا قال تعـالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات، ٥٦]، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** [الأنبياء، ٢٥].

هذه الكلمة لها فضائل عظيمة، ولو لم يكن لها من فضل إلا أنها عنوان الإيمان وسبب عصمة النفس والمال، لكفى بذلك شرفاً. فكيف وهي التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله، وحده لا شريك له**»[١]؟!

وعند الترمذي قال ﷺ: «**التسبيح نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه**»[٢].

وقال ﷺ: «**أتاني آتٍ مِنْ ربي فأخبرني أنه من مات يشهد أنْ**

---

(١) الموطأ ١/٤٢٢ و ٤٢٣، والترمذي في الدعوات ح ٣٥٨٥.

(٢) الترمذي في الدعوات ٥/٥٣٦ ح ٣٥١٨ وقال: غريب ليس إسناده بالقوي.

**لا إله إلّا الله وحده لا شريك له فله الجنّة»** فقال أبو ذر: وإن زنى أو سرق؟ قال: «**وإن زنى أو سرق**» كررها ثلاثاً. ثم قال في الثالثة: «**رغم أنف أبي ذر**»[1].

وقال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلّا الله خالصاً من قلبه**»[2].

وقال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنْ لا إله إلا الله دخل الجنَّة**»[3].

وكلمة التوحيد هي التي لا يعدلها شيء في الوزن، فعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقة مبهمة قصَمتهُنَّ لا إله إلا الله**»[4].

وقال ﷺ: «**إن موسىٰ عليه السلام قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، فقال: يا رب كل عبادك يقولون هذا!، قال: قل لا إله إلا الله. فقال: لا**

---

(١) البخاري في الجنائز ٣/١١٠ ح ١٢٣٧، ومسلم في الإيمان ح ١٥٣، وأحمد ٥/١٥٢/١٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب (الحرص على الحديث) ١/١٩٣ ح ٩٩، والمسند ٣/٣٧٣.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/٥٥ ح ٢٦.

(٤) أحمد في المسند ٢/٢٢٥ بسند صحيح.

**إله إلا أنت، إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهنَّ لا إله إلاّ الله»**(١)، ويؤكد هذا حديث البطاقة المعروف(٢).

ومن فضل لا إله إلا الله: أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً. وتعدل عتق الرقاب، وهي الحرز من الشيطان. ففي الصحيحين قال ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به، إلا رجل عمل أكثر منه يومه ذلك»**(٣)

وفي الصحيح أيضاً: **«مَنْ قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»**(٤).

ومن فضل لا إله إلا الله: أنها أمان من وحشة القبر وهول

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/٨٥.

(٢) أحمد في المسند ٢/٢١٣، ٢٢١ بسند حسن والترمذي في الإيمان ٥/٢٤ ح ٢٦٣٩، وابن ماجه ح ٤٣٠٠.

(٣) البخاري في الدعوات ١١/٢٠١ ح ٦٤٠٣، ومسلم في الذكر ح ٢٦٩١، والترمذي ح ٣٤٦٨.

(٥) البخاري في الدعوات باب (فضل التهليل) ١١/٢٠١، ومسلم في الذكر والدعاء ح ٢٦٩٣، والترمذي في الدعوات ح ٣٥٨٤، وانظر جامع الأصول ٤/٣٩٢.

المحشـر، يقول ﷺ: «**ليس على أهل لا إله إلّا الله وحشة في قبورهم، ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**»(١).

وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ في قصة منامه، قال: «**رأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فَفَتحت له الأبواب وأدخلته الجنة**»(٢).

ومن فضـائلها: أن الله ينظر إلى قائلها ويجيب دعاءه، فقد أخرج النسائي في عمل اليوم والليلة أنه ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه، إلا فتق الله له السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله**»(٣).

هذه بعض فضائل كلمة التوحيد، فهل أدركنا أيَّ كنز نملكه، وأيَّ خير ساقه الله إلينا بهذه الكلمة العظيمة؟ ذلك ما نرجوه والله المستعان.

---

(١) الطبراني في الأوسط بسند ضعيف، انظر مجمع الزوائد ١٠/٨٦.
(٢) عزاه في مجمع الزوائد ٧/١٨٠ للطبراني بإسنادين ضعيفين.
(٣) النسائي في «عمل اليوم والليلة» ح ٢٨، ص ١٥٠، تحقيق فاروق حمادة.

# أشعة كلمة التوحيد

إن كلمة التوحيد لها نور وشعاع، لأنها منزلة من عند الله الذي **﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾** [النور، ٣٥].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: (اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور ـ قوة وضعفاً ـ لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس مَنْ نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس ومنهم مَنْ نورها في قلبه كالكوكب الدريِّ، ومنهم مَنْ نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علماً وعملاً ومعرفةً وحالاً، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئاً، فأيُّ ذنب أو شهوة

أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها لبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبداً مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته، وولى الباب ظهره.

وليس التوحيد مجرَّد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون،!! بل التوحيد يتضمن مِنْ محبة الله والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: «**إنَّ الله حرَّم على النَّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(١). وقوله ﷺ: «**لا يدخل النَّار من قال لا إله إلا الله**» وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنَّها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأوَّل بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة.

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإنَّ المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ١/٤٥٦، ح٢٦٣.

في الدرك الأسفل من النار، فلا بدَّ من قول القلب وقول اللسان.
وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام.. وليس هذا مرتباً على مجرد قول اللسان..

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجِلاًّ، كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يُعذب[1]، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقَّل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات: لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.. وقريب من هذا ما قام بقلب البغيِّ[2] التي رأت ذلك الكلب وقد اشتدَّ به العطش، يأكل الثرى، فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر، وملء الماء في خُفِّها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف، وحملها خفَّها بفيها وهو ملآن، حتى أمكنها الرقيُّ من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخفَّ بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاءً ولا شكوراً، فأحرقت أنوار هذا

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٥.
(٢) صحيح مسلم كتاب السلام ٤/١٧٦١، ح ٢٢٤٥.

القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها، فهكذا الأعمال والعمال عند الله، والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي، الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قَلَبها ذهباً[1].

---

(١) «مدارج السالكين» ١/٣٢٩-٣٣٢ بتصرف بسيط.

# شروط لا إله إلا الله

لمَّا كان معنى لا إله إلا الله هو: أنه لا معبود بحق إلا الله، ولمَّا كان كثير من الناس لا يدرك معنى وأهمية لا إله إلا الله: كان لا بدَّ لنا أن نتحدث عن شروط هذه الكلمة.

ورحم الله وهب بن منبه حين سئل: أليست لا إله إلا الله مفتاح الجنَّة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإنْ جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يُفتح لك[1].

هذه الأسنان هي شروط هذه الكلمة العظيمة، وعددها سبعة، لكنه قبل عدها أقول ما قاله الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (ليس المراد من هذا عدُّ ألفاظها وحفظها، فكم من عاميٍّ اجتمعت فيه والتزمها، وَلو قيل له: اعدُدْها لم يحسن ذلك. وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله)[2].

وإليك هذه الشروط مع أدلتها الشرعية من الكتاب والسنة:

---

(١) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز باب (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله) ٣/١٠٩.

(٢) «معارج القبول» ١/٣٧٧.

**الشرط الأول:**

العلم بمعناها، نفياً وإثباتاً، علماً ينافي الجهل بها. قال الله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد، ١٩]. وقال تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾** [آل عمران، ١٨].

وفي الصحيح قال ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنَّة**»(١).

**الشرط الثاني:**

اليقين المنافي للشك، وذلك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً. قال تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾** [الحجرات، ١٥].

وقال ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**» وفي رواية: «**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة**».

وقال ﷺ: «**مَنْ لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/٥٥.

(٢) صحيح مسلم ١/٥٦ و ٦٠، ح ٢٧ و ٣١، كتاب الإيمان.

**الشرط الثالث:**

القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء مَنْ قَبِلَها، وانتقامه ممن ردَّها وأباها. قال تعالى: ﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ [الزخرف، ٢٣-٢٥].

**الشرط الرابع:**

الانقياد لما دلَّت عليه المنافي للترك قال تعالى: ﴿**وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**﴾ [الزمر، ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ [النساء، ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفسهم حرجاً ممَّا قضيتَ ويُسلموا تسليماً**﴾ [النساء، ٦٥].

**الشرط الخامس:**

الصـدق المنافي للكذب، وذلك بأن يقولها صدقاً من قلبه، يواطىء قلبُه لسانَه. قال تعالى: ﴿**الَم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً**

**عبده ورسوله صدقاً من قلبه، إلَّا حرَّمه الله على النار»**[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة، بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه)[2].

**الشرط السادس:**

الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النيَّة عن جميع شوائب الشركَ، قال تعالى: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾ [الزمر، ٣]، وقال سبحانه: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء**﴾ [البينة: ٥].

وقال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[3].

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: (إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبَلْ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة)[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ١/٢٢٦، ح ١٢٨، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان، ح ٤٨.
(٢) «التبيان» ص ٤٣.
(٣) صحيح البخاري كتاب العلم باب (الحرص على الحديث) ١/١٩٣.
(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص ٤٥١.

**الشرط السابع:**

المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض ما ناقض ذلك. قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ [البقرة، ١٦٥]،

ويقول ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النَّار**»[1].

ويقول العلامة ابن القيم في نونيته المشهورة:

| | |
|---|---|
| شرطُ المحبَّةِ أنْ توافِقَ مَنْ تُحِبُّ | على محبَّتِه بلا عصيانِ |
| فإذا ادَّعيتَ لهُ المحبَّةَ مَع خِلا | فِكَ ما يُحِبُّ فأنتَ ذو بُهتانِ |
| أتحبُّ أعداءَ الحبيب وتدَّعي | حُبَّاً له ما ذاكَ في إمكانِ |
| وكذا تُعادِي جاهداً أحبابَهُ | أينَ المحبَّةُ يا أخا الشَّيطانِ |
| ليسَ العبادةُ غيرَ توحيدِ المحبَّةِ | مَع خُضوعِ القلبَ والأركانِ |

إلى أن يقول:

| | |
|---|---|
| ولقدْ رأينا مِنْ فريقٍ يدَّعي الإ | سلامَ شِركاً ظاهرَ التِّبيانِ |

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب (حلاوة الإيمان) ١/٦٠ ح ١٦، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان ١/٦٦ ح ٤٣ والترمذي ح ٢٩٢٦.

جَعلوا لهُ شركـــاءَ والـــوهمْ وسَـــوَّ ... وْهُـم بهِ في الحبِّ لا السُّلطانِ[1]

ومِنْ خيرة الكتب التي عالجتْ هذا الموضوع الهام، كتابُ معارج القبول فراجعه فإنَّه فريد في بابه.

(١) «النونيَّة» ص ١٥٨.

# وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنَّة في كلِّ شيء

إنَّ مِنْ أولويات وبدهيّات معتقد أهل السنة والجماعة: الرجوع والرد في كلِّ شيء إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، ومن لم يفعلْ ذلك فهو متَّبع لهواه. قال تعالى: ﴿**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ [القصص، ٥٠].

إنَّ نكسة وتأخر المسلمين اليوم ـ وغير اليوم ـ ترجع إلى عدم تحكيم الكتاب والسنة، وانجرافهم إلى أهواء البشر الذين لا يعلمون.

وربُّنا الحكيم العليم قد حذَّرنا من ذلك، فقال: ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين**﴾ [الجاثية، ١٨، ١٩].

ومعلوم أنه لن يتحقق إيمان وعزَّة ونصر إلا بتطبيق قول الله سبحانه: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ [الأحزاب، ٣٦].

ولقد عانت هذه الأمة في عصور عديدة مِنَ المنافقين في داخل صفوفها، الذين يسعَون لحرب تحكيم شرع الله، وتحكيم شريعة

الطاغوت الذي يمثله هوى البشر ورغبات البشر. ومن هؤلاء الدعاة إلى الضلالة والتبعية لليهود والنصارى: (طه حسين)؛ فقد قال: (سبيل النهضة بيِّنة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج، ولا التواء. وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرِّها، حلوها ومرِّها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب)(١).

ويقول أحد دعاة العلمانية الأتراك: (إنَّا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الالتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم)(٢).

لقد حرص أعداء الملَّة على إقصاء الشريعة الربانية وإحلال القوانين الوضعية محلها، ولعمر الحق إنَّ تلك ردَّةٌ مخرجة من الملَّة بالكلية، فإنَّ إحلال القانون اللعين مكان شريعة ربِّ العالمين هو من أقبح الكفر المستبين، كما صرح بذلك العلامة الجهبذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في أول رسالته «تحكيم القوانين».

إنَّ القوانين الوضعية تناهض وتناقض شريعة ربِّ العالمين، فهي شرك وكفر ومصدر للبغي والظلم والجور والعدوان والانحراف عن المنهج، لأنَّ مصدرها العقول البشرية القاصرة.

---

(١) «الاتجاهات الوطنية» للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ج ٢/ ٢٢٩، نقلاً عن مستقبل الثقافة، ص ٤١.

(٢) «الاتجاهات الوطنية» ٢/ ٢٢٩.

إنهـــا أهـــواء من تسيِّرهُم الـرغبـة والشهـوة وتحقيق المـآرب الشخصية، قال الله تعالى: **﴿الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بمـا أنـزل إليـك ومـا أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الـطاغـوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بمـا قدمت أيـديهم ثم جاؤوك يحلفـون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾** [النساء، ٦٠-٦٢].

ويقول سبحانه: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** [النساء، ٦٥].

إنَّ كل غيور يقول حين يرى ما حلَّ بأمته: ما المخرج وما النجاة من هذا الوباء؟ ولا شك أنَّ الإجابة واضحة المعالم، فالذي أخرج هذه الأمة مِنْ وهدتها الأولى،وَقَلَبَ رعاة الغنم إلى قادة للأمم هو نفس المخرج لأزمة الأمة اليوم ورقدتها وغفلتها.

إنَّه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهما بحمد الله كاملان لم يتسرَّبْ إليهما نقص أو تحريف، مَن اهتدى بهما هُدِيَ إلى صراط مستقيم. ومن ابتغى الهدى في غيرهما كبَّهُ الله على وجهه في نار جهنَّم، وكتب عليه في هذه الدنيا الذلة والصغار، والهوان وغلبة الأعداء، كما قال تعالى: **﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين، كتب الله لأغلبن أنـــا ورسلي إن الله قوي عزيـز﴾** [المجادلة، ٢٠-٢١].

## خبر الآحاد وأثره في انتشار العقيدة

عندما دُوِّنَت سنَّة المصطفى ﷺ في القرون الأولى من تاريخ هذه الأمة، قسَّم علماء مصطلح الحديث الأحاديث النبوية إلى متواتر وآحاد. ولم يكن يخطر ببال أحد منهم ـ رحمهم الله ـ أن هذا سيترتب عليه حجة داحضة لأهل الأهواء والبدع، إذ المعوَّل عليه عند سلفنا الصالح ثبوت الخبر، فإذا ثبت عُمِلَ به سواء كان ذلك في العقيدة أم في الأحكام أو الأخلاق، حتى نبتت نابتة سوء في صفوف هذه الأمة من أهل الأهواء البدع، فخرجوا على الناس بمقولة كاذبة مفادها: إنَّ مسائل الاعتقاد لا تثبت إلا بالتواتر، ولا يؤخذ بالآحاد في مسائل الاعتقاد.

وترتب على هذه السوءة رد نصوص شرعية صحيحة ثابتة عن نبينا ﷺ، ورد مسائل عقدية هامة كلها ثبتت بحديث الآحاد.

وإننا نتساءل كم عدد الأحاديث المتواترة الواردة في السنة النبوية؟ إنها لا تزيد على ثلاثمائة وبضع عشرة حديثاً كما ذكر ذلك العلامة الكتاني في «نظم المتناثر».

فهل يعقل عند ذوي العقول السليمة أنْ تردَّ سنة رسول الله ﷺ الثابتة ولا يُقبل منها إلا هذا العدد؟.

عجب أمر أهل البدعة والابتداع الذين يقولون في دين الله مالا يعلمون!

لقد كان الناس يأتون إلى رسول الله ﷺ فيؤمنون ويتعلمون أمر دينهم، ثم يعودون دعاة إلى قومهم، وهم أفراد من جهات متعددة، فهل منعهم ﷺ عن البلاغ والبيان حتى يكون عددهم متواتراً فيأمروا وينهوا ويدعوا؟.

كلا. ثم كلا. فقد أخرج البخاريُّ رحمه الله من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده نحواً من عشرين ليلة، وكان بنا رحيماً، فلمّا ظنَّ أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه. قال: **«ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلُّوا كما رأيتموني أصلي»**[1].

ولا شك أنَّ كل ذي لبٍّ سليم يعلم أن هؤلاء الشباب سيدعون أهليهم أول ما يدعونهم إلى العقيدة والإيمان بالله، والدعاة هنا آحاد، فكيف لا يؤخذ بكلامهم في العقيدة؟. ثم هل من زعم أن حديث الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة هل هو أحرص على هذا الدين ونشره من رسول الله ﷺ الذي بعث معاذ بن جبل إلى اليمن؟ ومعاذ واحد وليس بمواتر...

ثم ألم يبعث ﷺ أبا عبيدة وبعث أبا موسى الأشعري وبعث عليًّاً وبعث أبا بكر وغيرهم وغيرهم؟..

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (وهو لم يبعث بأمره إلا

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان، باب (الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة) ٢/١١١ ح ٦٣١.

والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمة بقبول خبر الواحد عن رسول الله ﷺ، وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم أو يبعث إليهم عدداً فبعث واحداً يُعرف بالصدق)[1].

إنَّ القول بأن خبر الواحد لا يؤخذ به في العقيدة: قول مبتدع لا أصل له في الشريعة، وإنَّما المعوَّل عليه هو ثبوت الخبر عن نبينا ﷺ، فإذا صح وجب العمل به في العقيدة والأحكام والآداب والسنن والأخلاق. وإني لأعجب من آحاد غير معصوم يرد خبر آحاد معصوم.

وحتى تعلم بطلان قول من قال وزعم أن خبر الآحاد لا تثبت به عقيدة: أسوق لك بعضاً من مسائل الاعتقاد التي ثبتت بخبر الآحاد، حتى تكون على علم أن تلك المقولة السالفة قول على الله بلا علم، وتخرُّصٌ لم ينزل الله به سلطاناً، وأنها مقولة مرفوضة تماماً في معتقد أهل السنة والجماعة.

١ـ القول بنبوة آدم عليه السلام.
٢ـ أفضليَّة نبينا ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين.
٣ـ شفاعته العظمى ﷺ في المحشر وشفاعته في أهل الكبائر من أمته.
٤ـ معجزة انشقاق القمر.
٥ـ أحاديث بدء الخلق.
٦ـ صفة الملائكة والجن.

---

(١) «الرسالة» للإمام الشافعي، ص ٤١٢، تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

٧ـ القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.
٨ـ الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.
٩ـ الإيمان بعذاب القبر وضغطته.
١٠ـ الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة.
١١ـ الإيمان بالصراط.
١٢ـ الإيمان بالحوض وأن من شربَ منه شربة لا يظمأ بعدها.
١٣ـ الإيمان بدخول سبعين ألفاً من أمته ﷺ الجنة بغير حساب.
١٤ـ الإيمان بالقضاء والقدر.
١٥ـ الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء.
١٦ـ الإيمان بأن أهل الكبائر لا يُخلَّدون في النار.
١٧ـ الإيمان بأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة.
١٨ـ الإيمان بأن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.
١٩ـ الإيمان بأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه.
٢٠ـ الإيمان بخروج المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال.

مع العلم أن بعض هذه المسائل قد ثبتت بالحديث المتواتر[١].

إنَّ علمِ الكلام الذي تربى في أحضان الفلسفة اليونانية الوثنية هو الذي عكّر على المسلمين صفو التلقِّي من الكتاب والسنة. حتى

(١) للدكتور عمر الأشقر كتاب جيد في هذا الموضوع هو كتاب «العقيدة في الله» فراجعه إن شئت.

قال فيهم الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أنْ يُضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في الأسواق ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)[1]، وما نتيجة دعوى أن خبر الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة إلا من علم الكلام، فنعوذ بالله أن نكون من هؤلاء الذين يردون الأخبار الصادقة الصحيحة الثابتة عن رسـول الله ﷺ، لمجرد تخرُّص ودعاوى لم يدعمْها دليل مِنْ عقل أو شرع، ونسأل الله أن نكون ممَّن انقاد لقوله وفعله وتقريره ﷺ.

---

(١) «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» للسيوطي، ص ٣١.

# اتهام العقل أمام نصوص الشرع

العقل خلق من خلق الله، والوحي كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومِنَ المسلَّمات عند سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى: أنه لا تعارض بين العقل والنقل، وإنما ينشأ التعارض لدى ذوي العقول المريضة التي عصف بها الهوى ولعبتْ بها البدع.

ومن الناس من يحتقر العقل لأنه ـ فعلاً ـ لا يعقل، فالعقل هو مناط التكليف وهو الجوهرة الثمينة التي ميَّز الله بها هذا الإنسان من بين سائر المخلوقات، ولقد لفَتَتْ عدة آيات من كتاب الله أنظار العباد لإعمال العقل فيما خُلق له فقال سبحانه: ﴿**أفلا تعقلون**﴾ [البقرة، ٤٤]، وقد ذُكِرَتْ هذه الجملة في القرآن ١٣ مرة. ﴿**أفلا تبصرون**﴾ [القصص، ٧٢]، ﴿**أفلا يتدبرون**﴾ [النساء، ٨٢]. . . . إلخ.

وهناك من يغلو في العقل حتى يرفعه مرتبة فوق الشرع، وهؤلاء قد صادموا وحي الله المطهّر بالعقل القاصر الذي ينتابه الهوى والهوس والجنون والمرض والغباء والقصور.

ثم إنَّ هذا العقل في أحسن حالاته يحكم من خلال الحواس وما شابه ذلك، أمَّا الوحي فمصدر معصوم لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه.

وسأضرب لك - أيها القارىء الكريم - مثالاً ترى فيه قصور العقل البشري، ولو كان أصحابه من الأخيار، وحتى تتيقن أن مهمة العقل هي الخضوع والانقياد للشرع لا الاعتراض عليه ورده.

ثبت في الصحيح بشأن غزوة الحديبية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جادل رسول الله ﷺ بشأن صلح الحديبية، فقال: يا رسول الله: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى» فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»قال: فعلامَ نعطي الدنيَّة في ديننا؟! أنرجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟! فقال المصطفى ﷺ: **«يا ابن الخطاب: إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً»**، قال: فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فَتحٌ هو؟ قال: «نعم»[1].

لقد كانت هذه الغزوة درساً للصحابة رضوان الله عليهم تحذِّرهم، ومن يأتي بعدهم من الاعتماد على الرأي الصادر من العقل وحده، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: «أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أردُّ أمر رسول الله برأيي اجتهاداً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية ح ٣١٨٢، وانظر بحثاً قيِّماً في هذه الغزوة بعنوان «مرويَّات غزوة الحديبية» للأخ الدكتور حافظ بن محمد الحكمي.

فوالله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل»[1].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: (وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم الفساد، فلا إله إلا الله كم نُفي بهذه الآراء من حق، وأُثبت بها من باطل، وأُميت بها من هدى وأحيي بها من ضلالة، وكم هدم من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان، وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء، الذين لا سمع لهم ولا عقل، بل هم شرٌّ من الحُمُر، وهم الذين يقولون يوم القيامة: ﴿**لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾[2] [الملك، ١٠].

وإذا أردت أن تعرف حجم هذا العقل: فتأمل في أحداث سورة الكهف، تجدْ أن العقل المجرد لوحده يحكم بأن خرق السفينة شرٌّ محض، وقتل طفل يلعب مع أترابه شرٌّ محض، وبناء جدار لأناس بلغوا من اللؤم مبلغه شرٌّ محض. هذا هو حكم العقل البشري، فلمَّا جاء الخبر من الوحي قَلَبَ ذلك الشر إلى خير وصلاح.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن كعب القرظي قال: قال عمر بن الخطاب ـ ورسول الله ﷺ يحدثهم بهذا الحديث حتى فرغ من القصة ـ «يرحم الله موسى، وددنا أنه لو صبر حتى يقص

(١) «المعجم الكبير» ١/٢٦، و«مرويات غزوة الحديبية» ص ١٨٣.

(٢) «إعلام الموقعين» ١/٦٨.

علينا من حديثهما»[1]

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود و الترمذي والنسائي والحاكم وصححه، وابن مردويه أن النبي ﷺ قال: «**رحمةُ الله علينا وعلى موسى ـ فبدأ بنفسه ـ لو كان صبر لقص علينا من خبره ولكن قال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾**»[2].

حقاً إن العقل لقاصر، ولكنه إذا وظف في المجال الذي خُلق من أجله فهو أثمن ما يملكه الإنسان، وإذا تعدى حدود ما رسمه له الشارع فهو نقمة على صاحبه ووبال يجرُّ إلى شرٍّ وبلاء، والسعيد من أذعن لوحي ربه، ولم يقف مع وحي مولاه موقف المستدرك أو المتحكِّم فتلك سمة أهل الكفر والعناد، نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

---

(١) الدر المنثور ٥/٤٢٨.

(٢) جمع ابن الأثير رحمه الله الروايات عن أهل العلم في قصة الخضر مع موسىٰ، فراجعه إن شئت في جامع الأصول ٢/٢٢٠ـ ٢٣٠.

# الاستجابة لأوامر الله وخطورة الإعراض عنها

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ [الأنفال، ٢٤]. ولا شك أن الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله هي طريق الجنة، وسبيل السعادة في العاجل والآجل، وهي الأمنية العظيمة التي سعى لتحقيقها كل نبي ورسول، وداع إلى الله على منهاج النبوة، إنها انقياد وإذعان واستسلام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وحين يستجيب المؤمنون لربهم يجيبهم هو سبحانه لأنه الرحمن الرحيم. قال تعالى: ﴿**ادعوني استجب لكم**﴾ [غافر، ٦٠]، فهم حين دعوه استجابوا لأمره بأن لا يُدعى إلا هو، فكانت الإجابة منه سبحانه كما قال: ﴿**أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾ [النمل، ٦٢].

إنه سبحانه طلب من عباده الاستقامة على شرعه والاستجابة لأنبيائه ورسله، بتصديقهم فيما أخبروا والإيمان به فيما جاؤوا به من عند الله، فإن فعلوا ذلك فخيراً لأنفسهم فعلوا، وإن أبوا فلن يضروا إلا أنفسهم، ومن ثم هو المستجيب لدعوة كل من دعاه قال تعالى: ﴿**ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء**

**فأغرقناهم أجمعين﴾** [الأنبياء، ٧٦ـ٧٧]، ومن النصوص التي تدعو إلى الاستجابة لأمر الله قوله سبحانه: **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾** [الزمر، ٥٤ـ٥٥].

ويصف الله حال المؤمنين الصادقين في الاستجابة لأمره بقوله: **﴿إنَّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾** [النور، ٥١].

ويقول سبحانه: **﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾** [الشعراء، ١٥٠ـ١٥١].

ثم يبين الجزاء لهذه الاستجابة فيقول سبحانه: **﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**[النساء، ١٣]، ويقول سبحانه: **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾** [النساء، ٦٩].

ويقول سبحانه: **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾** [النور، ٥٢].

هذا هو الشرف الكبير الذي يمن الله به على من يشاء من عباده، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أما حياه النكد والبلاء ومحط أنظار الأشقياء، فتلك حياة المعرضين عن الاستجابة لله ولدينه، يقول سبحانه: **﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾** [الأحقاف، ٣٢].

**﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به﴾** [الرعد، ١٨].

**﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾** [هود، ١٤].

وسؤال يتبادر للأذهان: ما سبب عدم الاستجابة لنداء الخير مع نصاعة طريقه ووضوح هدفه، ونزاهة من دعا إليه وهم الأنبياء والرسل؟.

الجواب يكمن في قول الله تبارك وتعالى: **﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾** [القصص، ٥٠]. وإذا أعرض عن الاستجابة لأمر الله، فلن يكون لذلك بديلٌ إلا حياة الضنك والتعاسة، ولو رأى الناس ذلك المعرض بأنه سعيد. كلا، يقول ربنا تبارك وتعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾** [طـه، ١٢٤-١٢٧].

إذن فالهوى والإعراض والتكبر على الاستجابة لأمر الله جزاء ذلك ما قرأتَ الآن من الآيات، التي من تأملها فقد أدرك خطورة الأمر وعظم المسألة.

ولهذا جاء في كتاب الله أن الشيطان يظهر الشماتة بأوليائه حين

استجابوا له وأعرضوا عن أمر الله، وكفى بذلك عذاباً يومُ تُكشف الصحائف، وتَظهر السرائر، قال تعالى: ﴿**وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل، إن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾ [إبراهيم، ٢٢].

إن الاستجابة لأمر الله هي عنوان الانقياد التام لرب العالمين، ومتابعة سيد المرسلين ﷺ، فهل استجبنا لله في كل ما أمر وانتهينا عن كل ما حذرنا منه؟

ذاك ما نرجوه ونأمله والحمد لله رب العالمين.

# كيف نوقِّر الله تعالى

إن أعـظم من يستحق التوقير في هذا الوجود هو ربنا تبارك وتعالى، وأعظم من يستحق التعظيم هو الله العلي العظيم.

والتوقير والتعظيم نوعان من أنواع العبادة لا يُصرفان بتمامهما إلا لله تعالى و (من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من النـاس وقلبـك خال من تعـظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتُجِلُّهُ أنْ يراك في حال لا توقِّر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً﴾ [نوح، ١٣]، أي: لا تعاملونه معـاملة من توقـرونه... فلو أنهم عظموا الله وعرفوا حق عظمته لَوَحَّـدوه وأطـاعوه وشكروه، لأنَّ طاعته سبحانه واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب... ومِنْ وقاره أن لا تعدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول: (والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت)، فإن هذه ألفاظ شركية، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله بل أعظم، كما هو حال الفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبنيٌّ على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة ويقدِّم حقَّ المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في ناحية، والناس في ناحية، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه

دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدَّماً على مراد ربِّه، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومَنْ كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل يُسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإنْ وقَّروه مخافة شره فذاك وقار بغض لا وقار حبٍّ وتعظيم.

ومِنْ وقار الله أنْ يستحي من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره.

ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر الناس[1]).

إن الذين يشركون بالله لا يوقِّرون الله، فوقار الناس قد حلَّ في قلوبهم أكثر من وقارهم لله. والذين يبتدعون في دين الله مالم يأذن به الله ولم يشرعه رسول الله غير موقِّرين لله. والذين يؤولون نصوص الوحيَيْن ـ الكتاب والسنة ـ غير موقِّرين لله، بل مستدركين عليه.

الواحد منهم لسان حاله يقول: أنا أعلم بالله من الله.. تعالى ربنا عن ذلك علوًّا كبيراً! فمن فَهِمَ من قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه، ٥]، إنه استولى وأفهم الناس بذلك فهو غير موقِّر لله تعالى، لأنَّ هذا استدراك على كلام الله ووحيه، والذي يفسِّر حديث نزول ربِّنا سبحانه وتعالى في آخر الليل بأنَّ المراد نزول الرحمة: هذا غير موقِّر لله، وغير معظِّم له سبحانه حيث زعم

(١) «الفوائد» لابن القيم ٢٤٢-٢٤٣، بقليل من التصرف.

بفهمه السقيم هذا أنَّ رحمة الله محصورة في الثلث الأخير من الليل!.

ولو كان صاحب هذا الفهم يريد حقّاً توقير الله لعلم أنَّ الذي ﴿ليس كمثله شيء﴾ في ذاته هو الذي أيضاً ليس كمثله شيء في صفاته، لأنَّ الصفة تتبع الموصوف وتدور معه وجوداً وعدماً.

والذين يرتضون شرائع البشر وأعرافهم وأهواءهم ويقدِّمونها على شريعة الله غير موقِّرين لله، لأنهم استحسنوا غثاء الجاهلية على دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والذين يقسمون بغير الله كمن يقسم بالأمانة والجاه والشرف والحياة والنبي والطلاق كل أولئك غير موقِّرين لله سبحانه، فإنَّ مَنْ أقسم بشيء فقد وقَّره، ومن أقسم بغير الله فقد وقَّر ما أقسم به أكثر من الله.

والذين يهزؤون بدين الله وشرعه وسنة نبيه ﷺ مِنْ أبعد الناس عن توقير الله وتعظيمه، فإنه ما حصل منهم الاستهزاء إلا في غياب الوقار والتعظيم.

إنَّ ربنا سبحانه وتعالى أعظم مَنْ عُبِدَ، وخير مَنْ حُمِدَ، وأعظم مَنْ سُئل ووقِّر، وأكبر مَنْ أُقسِمَ به، فعلى المؤمن أن يوقِّر الله ويقدِّره حقَّ قدره، وأنْ يستحي من الله حق الحياء، فإنه ما قام عبد بفعل معصية إلا بمقدار هبوط عظمة الله في نفسه ووقاره في قلبه.

وكيف لا يُعظَّمُ ربنا وهو الكبير المتعال، العزيز الجبار، القوي المقتدر، الرحمن الرحيم، الأول والآخر، الظاهر والباطن، عالم

الغيب والشهادة، المهيمن العزيز الجبار، الذي يعلم ما أنتم عليه، ويعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، الذي يعلم السر وأخفى، صاحب العظمة والكبرياء، سبحانه هو الله العليُّ العظيم.

إنَّ مِنْ مقتضيات دعوة التوحيد «لا إله إلا الله»: هو تعظيم ربنا وتقديره حقَّ قدره. والالتزام بأوامره ومراقبته في السرِّ والعلن دليل على تعظيمه وتوقيره، وبعكسها تتميز الأشياء.

والتوفيق بيد الله تعالى.

# التوكُّل على الله

التوكُّل على الله، وصدق اللجوء إليه، والاعتماد عليه وحده، وعدم الركون إلى أحد سواه أس من أسس عقيدة التوحيد، فإذا علم العبد (أنَّ الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأنَّ تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه، وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدَّم بين يدَي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخَّر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدَّم له بين يدي قضائه وقدره، ولا متأخَّر، فألقى نفسه بين يديه، وسلَّم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرُّف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأفكار والحسرات، وحمل كله وحوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يتثقله ولا يكترث بها؛ فتولَّاها دونه، وأراه لطفه وبِرَّه ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب، ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرغ قلبه منها، فما أطيب عيشه، وما أنعم قلبه، وأعظم سروره وفرحه!

وإن أبى إلا تدبيره لنفسه، واختياره لها، واهتمامه بحظه دون حق ربه، خلّاه وما اختاره، وولّاه ما تولّى، فحضره الهمُّ والغمُّ والحزنُ والنَكَدُ والخوف والتعب، وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل ولا راحة يفوز بها، ولا لذة يتهنّا بها، بل قد حِيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرة عينه، فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش، ولا يظفر منها بأمل ولا يتزوَّد منها لمعاد، والله سبحانه قد أمر العبد بأمر وضمن له ضماناً، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد: قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج.

فإنه سبحانه ضَمِنَ الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكَّل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده والمغفرة لمن استغفره، وقضاء الحوائج لمن صَدَقه في طلبها ووثق به، وقوي رجاؤه وطمعه في فضله وجوده، فالفَطِنُ الكيِّسُ إنما يهتمُّ بأمره وإقامته وتوفيته لا بضمانه، فإنه الوفيُّ الصادق، ومن أوفى بعهده من الله.

فمن علامات السعادة: صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه، ومن علامات الحرمان: فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبِّه وخشيته، والاهتمامُ بضمانه(١)».

والتوكُّل على الله نوعان:

أحدهما: توكُّلٌ عليه سبحانه في جلب حوائج العبد وحظوظه

(١) «الفوائد» ١٤٨-١٤٩، تحقيق أحمد عرموش.

الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكُّل عليه في حصول ما يحبُّه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، وبين النوعين من الفضل مالا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوعَ الأوَّل تمام الكفاية، ومتى توكَّلَ عليه في النوع الأوَّل دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبُّه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسول ﷺ وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل، وخاصة أتباعهم.

والتوكُّل تارة يكون توكُّلَ اضطرار وإلجاء، بحيث لا يجد العبد ملجأً ولا وزراً إلا التوكل؛ كما إذا ضاقت عليه الأسباب، وضاقت عليه نفسه، وظنَّ أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلَّف عنه الفرج والتيسير البتة.

وتارة يكون توكل اختيار، وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد، فإنْ كان السبب مأموراً به ذُمَّ على تركه، وإن قام بالسبب وترك التوكل ذُمَّ على تركه أيضاً، فإنَّه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما.

وإنْ كان السبب محرَّماً حرم عليه مباشرته، وتوحَّد السبب في حقه في التوكل فلم يبقَ سبب سواه، فإنَّ التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق.

وإنْ كان السبب مباحاً نظرت: هل يُضعف قيامك به التوكل أو لا يُضعفه؟ فإن أضعفه وفرَّق عليك قلبك وشتَّتَ هَمَّك فتركُهُ أولى، وإنْ لم يُضعفه فمباشرته أولى، لأنَّ حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط السبب به، فلا تعطل حكمته مهما أمكنك القيام بها ولا سيما إذا فعلته عبوديةً، فتكون قد أتيت بعبوديَّة القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنويِّ به القربة.

والذي يحقق التوكل: القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاؤه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنِّياً، كما أنَّ مَنْ عطَّلها يكون توكله عجزاً، وعجزه توكلاً[1].

إن سر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلوِّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلتُ على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: (تبت إلى الله وهو مُصِرٌّ على معصيته مرتكب لها)[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٣.

# كيف تحقِّق الرجاء في الله

الرجاء في الله **من أعظم ما يربط القلب بالله**، وحسن الظن بالله من أعظم وصايا رسول الله ﷺ حيث قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[(١)].

ويقـول أيضاً: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء**»[(٢)].

وعند أبي داود: قال ﷺ: «**حسن الظن من حسن العبادة**»[(٣)].

وقد عرَّف العلاَّمة ابن القيِّم رحمه الله الرجاء فقال: (إنه حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة).

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

---

(١) صحيح مسلم في صفة الجنة ح ٢٨٧٧، وأبو داود في الجنائز، ح ٣١١٣.

(٢) صحيح البخاري في كتاب التوحيد ١٣/٤٦٦ ح ٧٥٠٥، ومسلم في الدعاء ح ٢٦٧٥.

(٣) كتاب الأدب باب (في حسن الظن) ح ٤٩٩٣، والترمذي في الدعوات ح ٣٦٠٤، وأحمد ٢/٢٩٧.

وقيل: هو الثقة بجود الله تعالى.

والفرق بينه وبين التمني: أنَّ التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء: يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع. ولهذا أجمع العارفون أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه.

ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك.

والرجاء من أجلِّ المنازل وأعلاها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، وقد مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم فقال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو**

**الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.**

وفي الحديث الصحيح فيما يروي المصطفى ﷺ عن ربِّه قال: **«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»**(١).

وقال ﷺ: **«يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليَّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»** رواه مسلم(٢).

أما قوة الرجاء فهي على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه، ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهُدِمَتْ صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات. وصدق القائل:

لولا الرَّجا يَحْدو المطيَّ لما سَرَتْ
بحمولها لديارِهِمْ ترجُو اللِّقا

وينبغي للراجي: أن يكون دائماً راغباً راهباً، مؤمِّلاً لفضل ربِّه، حَسَنَ الظنِّ به، متعلِّقَ الأمل ببِرِّه وجُوده، عابداً له بأسمائه:

---

(١) الترمذي في الدعوات، ح ٣٥٣٤، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) في الذكر والدعاء ح ٢٦٧٥.

المحسن، البَرِّ، المعطي، الغفور، الجواد، الوهَّاب، الرَّزاق.

وليس في الرجاء ولا في الدعاء معارضة لتصرف الله في ملكه كما يظن بعض الجهلة، فإنه إنما يرجو تصرفه في ملكه أيضاً بما هو أولى وأحب الأمرين إليه، فإنَّ الفضل أحب إليه من العدل، والعفو أحبُّ إليه من الانتقام، والمسامحة أحبُّ إليه من الاستقصاء، والترك أحبُّ إليه من الاستيفاء، ورحمته غلبت غضبه، فالراجي علق رجاءه بتصرف المحبوب له المرضي له... فرجاء العبد له لا ينقص شيئاً من حكمته سبحانه، ولا ينقص ذرة من ملكه ولا يخرجه عن كمال تصرفه.

وللرجاء فوائد جمَّة مِنْ أهمَّها: إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

ومنها: أنه سبحانه يُحِبُّ من عباده أن يؤمِّلوه، ويرجوه ويسألوه من فضله، لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سُئل وأوسع من أعطى، وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»(١). لذا كان من فوائد الرجاء التخلص من غضب الله.

ومنها: أنَّ الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله، ويطيِّبُ له المسير، ويَحُثُّه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، لأنَّ الحب هو الذي يحرِّكُ العبدَ، كما أن الذي يزعجه هو الخوفُ، والذي يحدوه هو الرجاء.

---

(١) الترمذي في الدعوات ح ٣٦٠٧ و ٣٦٠٨، وحسَّنه.

ومنها: أنه يوجِبُ له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلُّق بها.

ومنها: أنَّ الله يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذلِّ والانكسار والتوكُّل والاستعانة والخوف والرجاء والصبر، والشكر والرضا والإنابة وغيرها.

ومنها أنَّ في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله، ما يوجب تعلُّق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته[1].

(١) انظر «تهذيب مدارج السالكين» ٢٩٧ـ ٣٠٥.

# حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر

قد كثر كلام الناس في الإيمان والكفر قديماً وحديثاً، وعلماء أهل السنة رحمهم الله من أشد الناس احترازاً في مثل هذه المسائل، لذا بحثوها بحثاً دقيقاً مدلّلاً بالكتاب والسنّة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم. فكل قضية تثار اليوم في مسائل الإيمان والكفر قد سبقنا إليها ولله الحمد بالبحث وجمع الأدلة ورفع التعارض عند مَنْ يتوهَّمُ التعارضَ، فخير لنا أن نرجع إلى كتب سلفنا الصالح ففيها الغُنية والكفاية.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: (إن كثيراً من الناس حظُّهم من الإيمان: الإقرار بوجود الصانع، وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهذا لم يكن ينكره عُبَّاد الأصنام من قريش وغيرهم.

وآخرون الإيمان عندهم هو: التكلُّم بالشهادتين سواء كان معه عمل أم لم يكن، وسواء وافق تصديق القلب أو خالفه.

وآخرون عندهم الإيمان: مجرد تصديق القلب بأنَّ الله سبحانه خالق السموات والأرض، وأن محمداً عبده ورسوله، وإنْ لم يُقِرَّ بلسانه ولم يعمل شيئاً. بل ولو سبَّ الله ورسوله وأتى بكل عظيمة، وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله فهو مؤمن.

وآخـرون عنـدهم الإيمـان: هو جحـد الصفات الثابتة للربِّ تعـالى، من علوِّه على عرشه، وتكلُّمه بكلماته، وكتبه، وسمعه، وبصره، ومشيئته، وقدرته، وإرادته، وحبه، وبغضه، وغير ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله؛ فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كلّه وجحده، والوقوف على ما تقتضيه آراء المتهوِّكين وأفكار المتخرِّصين الذين يرد بعضهم على بعض، وينقض بعضهم قول بعض، الـذين هم كمـا قال عمـر بن الخـطاب والإمام أحمد: (مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب متَّفقون على مفارقة الكتاب)[1].

وآخرون عندهم الإيمان: عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم، وما تهواه نفوسهم من غير تقيُّد بما جاء به الرسول ﷺ.

وآخـرون الإيمـان عنـدهم: ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم بحكم الاتفاق كائناً ما كان، بل إيمانهم مبنيٌّ على مقدمتين:

إحداهما: أنَّ هذا قول أسلافنا وآبائنا.

والثانية: أنَّ ما قالوه فهو الحق.

وآخرون عندهم الإيمان: التجرُّد من الدنيا وعلائقها، وتفريغ القلب منها والزهد فيها، فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان، وإن كان منسلخاً من الإيمان علماً وعملاً.

وأغلى من هؤلاء من جعـل الإيمان: هو مجرَّد العلم وإن لم

---

(١) انظر مقدمة «الرد على الجهمية للإمام أحمد» ص ١٣، نشر إدارات البحوث العلمية بالرياض.

يقارنه عمل.. وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان، ولا قاموا به، ولا قام بهم.

إن الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبَّة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه: تجريد متابعة رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله)[1].

ولكي تتضح حقيقة الإيمان لا بدَّ أن نذكر حقيقة الكفر، لأنه كما قيل: بضدِّها تتميَّز الأشياء.

(فالكفر والإيمان متقابلان، إذا زال أحدهما خَلَفَهُ الآخر.

ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان.

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها مالا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق. وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون

---

(١) «الفوائد» ١٤١-١٤٣ بتصرف.

إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشُعَب. فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشُعب الكفر كفر، والحياء شعبة من شُعَب الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر. والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قوليه وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قوليه وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية: فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف. **فهذا أصل**.

**وها هنا أصل آخر**: وهو أنَّ حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيَّته وإخلاصه. وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإنَّ تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة.

فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق

مع انتفاء عمل القلب وهو محبَّته وانقياده كما لم ينفع إبليسَ وفرعونَ وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، . بل ويُقِرُّون به سرًّاً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به. وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكرٍ أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيَّما إذا كان ملزوماً لعدم محبَّة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره.

فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإنَّ الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد.

وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيُّنه، بل هو معرفته المستلزمة لاتِّباعه والعمل بموجبه، وإنْ سُمِّيَ الأوَّلُ هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سُمِّي تصديقاً فليس هو التصديق المستلزم للإيمان. فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته.

**وها هنا أصل آخر**: وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد.

فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً، من أسماء الربِّ وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كلِّ وجه.

وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضادُّ الإيمان وإلى ما لا يضادُّه، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف، وقتل النَّبي وسبُّه يضادُّ الإيمان. وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً. ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر، بنصِّ رسول الله ﷺ، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد.

ومن الممتنع أن يسمِّي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ويسمِّي رسولُه ﷺ تاركَ الصلاة كافراً ولا يطلق عليهما اسم الكفر.

وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1]. فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «**من أتى كاهناً فصدَّقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أُنزل على محمد**»[2]، وقوله: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**»[3]. وقد سمَّى الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض الكتاب وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به وكافراً بما ترك العمل به فقال تعالى: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١/٨٨ ح ٨٢.

(٢) أبو داود في الطب ٤/٢٢٥ ح ٣٩٠٤، وصححه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح ح ٤٥٩٩.

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ح ٦٠.

**دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرَّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلَّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عمَّا تعملون﴾**[1]. فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه، وهذا يدل على تصديقهم به أنهم لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، ثم أخبر أنهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقاً، وأخرجوهم من ديارهم. فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب، ثم أخبر أنهم يفدون من أُسِرَ من ذلك الفريق، وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه.

فالإيمان العملي يضادّه الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي.

وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[2]، ففرَّق بين قتاله وسبابه. وجعل أحدهما فسوقاً لا يكفر به والآخر كفراً. ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العمليَّ لا الاعتقاديّ. وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملَّة بالكليّة كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من

---

(١) سورة البقرة، ٨٤ـ٨٥.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان ح ٦٤.

الملّة، وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تُتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإنَّ المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين، فَريقاً أخرجوا من المِلَّة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار. وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهؤلاء غَلَوا، وهؤلاء جَفَوا.

وهدى الله أهل السنَّة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل. فها هنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم.

قال سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[المائدة، ٤٤]، ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه.

وقال عبد الرزَّاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: سُئل ابن عبَّاس عن قوله: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ قال: هو بهم كفر، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال في رواية أخرى عنه: كفر لا ينقل عن الملة.

وقال طاووس: ليس بكفر ينقل عن المِلَّة.

وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وهذا الذي قاله عطاء بَيِّنٌ في القرآن لِمَن فَهِمَهُ فإنَّ الله سبحانه سمَّى الحاكم بغير ما أنزل كافراً، ويُسمَّى جاحد ما أنزله على رسوله كافراً، وليس الكافران على حدٍّ

سواء، ويُسمَّى الكافر ظالماً كما في قوله تعالى: ﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾ [البقرة، ٢٥٤]، وسمى متعدِّي حدودِه في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالماً فقال: ﴿**ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾ [الطلاق، ١]، وقال يونس نبيّه: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ [الأنبياء، ٨٧]، وقال صفيّه آدم: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ [الأعراف، ٢٣]، وقال كليمه موسى: ﴿**رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي**﴾ [القصص،١٦]، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

ويُسمَّى الكافر فاسقاً: كما في قوله: ﴿**وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**﴾ [البقرة، ٢٦-٢٧]، وقوله: ﴿**ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون**﴾ [البقرة، ٩٩]، وهذا كثير في القرآن، ويُسمى المؤمن فاسقاً كما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ [الحجرات، ٦]، نزلت في الحَكَم بن أبي العاص، وليس الفاسق كالفاسق. وقال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾ [النور، ٤]، وقال عن إبليس: ﴿**ففسق عن أمر ربه**﴾ [الكهف، ٥٠]، وقال: ﴿**فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق**﴾ [البقرة، ١٩٧]، وليس الفسوق كالفسوق.

والكفر كفران، والظلم ظلمان، والفسق فسقان، وكذا الجهل جهلان:

جهل كفر كما في قوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعُـرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ [الأعراف، ١٩٩].

وجهـل غير كفـر كقوله تعالى: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**﴾ [النساء، ١٧].

كذلك الشرك شركان: شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء.

قال تعالى في الشرك الأكبر: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنَّة ومأواه النار**﴾ [المائدة، ٧٢]، وقال: ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾ [الحج، ٣١] وفي شرك الرياء قال: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ [الكهف، ١١٠].

ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١)، ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار.

ومن هذا قوله ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**»(٢)، فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل

---

(١) أبو داود في كتاب الأيمان والنذور ٣/٥٧٠ ح ٣٢٥١، والترمذي في النذور والأيمان ٥/٣٥٣ ح ١٥٣٥.

(٢) المسند ٤/٤٠٣ وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ح ٣٦٢٤.

إلى ما هو كفر ينقل عن الملة وإلى مالا ينقل عنها.

وكذا النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد، ونفاق عمل. فنفاق الاعتقاد: هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار.

ونفاق العمل كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان**»[1].

وفي الصحيح أيضاً: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا أوتمن خان**»[2].

فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقاً خالصاً، وكلام الإمام أحمد يدل على هذا، فإن إسماعيل بن سعيد الشالنجي[3]، قال: سألت أحمد بن حنبل عن

(١) صحيح البخاري ١/٨٩ ح ٣٣، ٣٤ كتاب الايمان وصحيح مسلم في الايمان ح ٥٨، ٥٩.

(٢) البخاري في الايمان ح ٣٤، ومسلم في الايمان ٥٨، وأبو داود ح ٤٦٨٨.

(٣) من أصحاب الإمام أحمد، روى عن الإمام مسائل كثيرة جداً، انظر طبقات الحنابلة ١/١٠٤.

المُصِرِّ على الكبائر يطلبها بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة، هل يكون مُصِرّاً من كانت هذه حاله؟

قال: هو مصرٌّ، مثل قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)] يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام، ونحو قوله: «**لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن**»[(٢)]، ونحو قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة، ٤٤]، قال إسماعيل: فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر، حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه.

**وها هنا أصل آخر**: وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان. وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة والقدرية.

ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنيَّة على هذا الأصل، وقد دلَّ عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة. قال تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ [الحجرات، ١٤]، فأثبت لهم إسلاماً وطاعةً لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم، وهو الإيمان

---

(١) صحيح مسلم ١/٨٦ ح ٥٧.

(٢) صحيح مسلم ١/٨٦ ح ٥٧.

المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه ﴿**الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾ [الحجرات، ١٥].

وقوله ﷺ: «**فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق**» دليل على أنه يجتمع في الرجل نفاق وإسلام.

كذلك الرياء شرك: فإذا راءى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والإسلام. وإذا حكم بغير ما أنزل الله أو فعل ما سماه رسول الله ﷺ كفراً وهو ملتزم للإسلام وشرائعه فقد قام به كفر وإسلام.

**وها هنا أصل آخر**: وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يُسمَّى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر أن يُسمَّى كافراً وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمّى عالماً، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطبِّ أن يسمىٰ فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمنع ذلك أن تسمَّى شعبة الإيمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً(١).

إن هذه الأصول العقديّة الإيمانية الهامة لَجديرة بالتدبُّر والتأمُّل من شباب الصحوة الإسلامية المباركة اليوم، حتى لا يقعوا في تخبُّط الخوارج أو تفريط المرجئة، فالحق واضح أبلج، وعلماء أهل السنة والجماعة قد كفونا مؤنة البحث، فما علينا إلا التأمّل والتفقُّه في أمور ديننا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(١) كتاب «الصلاة» لابن القيم من ص ٢٥-٣١، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ، السلفية بمصر، بقليل من التصرف.

# زيادة الإيمان ونقصانه

هذه المسألة من أشرف مسائل العقيدة وأهمها، ويهتمُّ بها كل مؤمن صادق يخاف على إيمانه من النقص، ويفرح بما يعينه على زيادة إيمانه ورفعة درجاته.

ففي معتقد أهل السنة والجماعة: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. قال الله سبحانه: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾** [الأنفال، ٢].

وقال تعالى: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** [آل عمران، ١٧٣].

وقال سبحانه: **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾** [الفتح، ٤].

وقال تعالى: **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾** [مريم، ٧٦].

وقال تعالى: **﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾** [محمد، ١٧].

وقال عزَّ من قائل: **﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾** [المدثر، ٣١]،

وقال: ﴿**وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً**﴾ [الأحزاب، ٢٢].

وأما الأدلة على هذه المسألة الشريفة من سنة رسول الله ﷺ فكثيرة جدًّاً، منها قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٢).

وقال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل**»(٣).

إنَّ أحدنا ليشكو من قسوة قلبه، وضعف إيمانه، وهذه بذاتها علامة جيِّدة تشعر الإنسان بوقوفه أمام ربه، وهو خُلُقٌ قد شكى منه من هو خير منَّا جميعاً، إنهم صحابةُ رسول الله ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي ـ وكان من كتاب رسول الله ﷺ ـ قال: لقيني أبو بكر

---

(١) البخاري في الايمان، باب أمور الايمان ١/٥١ ح ٩، ومسلم في الايمان ح ٣٥، وأبو داود ح ٤٦٧٦.

(٢) الترمذي في الرضاع ١١٦٢، وأبو داود في السنة ح ٤٦٨٢.

(٣) مسلم في الايمان ح ٥٠.

رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قال، قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة حتَّى كأنَّا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسْنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيراً. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا! فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسْنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحَتْكم الملائكة على فُرُشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»** ثلاث مرات(١).

ومن فقه صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، نظرهم إلى هذه المسألة بعين البصير ذي المراقبة. فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «مِنْ فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومِنْ فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص». ويقول عمر رضي الله عنه: «هلمُّوا نزد د إيماناً، فيذكرون الله عزَّ وجلَّ»(٢).

وعن عمير بن حبيب بن خماشة قال: «الإيمان يزيد وينقص،

---

(١) صحيح مسلم كتاب التوبة ح ٢٧٥٠، والترمذي في صفة القيامة، ح ٢٥١٦، والمسند ٢/٣٠٥

(٢) ابن أبي شيبة في الإيمان ٣٦، والآجري في الشريعة ١١٢.

فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعْنا فذلك نقصانه»[1].

وهنا لا بد أن نشير إلى الأمور التي تزيد في الإيمان، فبعد يقين القلب وقوله وعمله هناك من الأعمال ما يزيد في الإيمان ويثقل الموازين يوم تثقل موازين قوم وتخف موازين آخرين، فمن هذه الأعمال: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأداء ما افترض الله على العبد، والمسابقة في فعل الخيرات، ومجانبة أهل السوء والشهوات، وذكر الله والتفكر في آلائه وبديع صنعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير، وإحياء سنن المصطفى ﷺ مع استشعار عظمة الله تعالى وقدرته، والبعد عن كل ما ينقص الإيمان من الكبائر والصغائر، كالشرك والرياء وشرب الخمر وتعاطي المخدرات وأكل الربا وعقوق الوالدين ونشر الفاحشة في الذين آمنوا والزنا، وغيرها مما حرَّم الله، فإن هذه الذنوب هي التي تنقص الإيمان، وبعضها كالشرك بالله يذهبه بالكليَّة.

نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد ح ٦٢٤، والآجري ١١١.

## كيف تعرف ميزان الإيمان في قلبك ؟

من صفات ربنا سبحانه وتعالى أنه «حكيم» والحكيم، هو الذي يضع الشيء في موضعه، والله سبحانه وتعالى خلق الناس، وهو العليم بأسرارهم وما يصلح حالهم، ولهذا فتدبُّر وحيه يعطي المؤمن ميزاناً دقيقاً لمعرفة الحق ومعرفة الباطل.

ولقد قرأت هذه الآية من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه: ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**﴾ [الزمر، ٤٥] فوجدت أن هذه الآية تعطي ميزاناً دقيقاً لعمل القلب ومعرفة حبه للحق، أو العكس عياذاً بالله من ذلك العكس.

إنه ميزان قرآني كشف الله به سرائر القلوب، وفضح به الضمائر المستترة ليؤمن من يؤمن عن بيّنة، ويكفر من يكفر عن بيّنة.

وبتأملها يخرج القارىء بميزان يعرفه هو من نفسه، ميزان لا تدخله مجاملة أو مداهنة.

روى مالك عن زيد بن أسلم أنه فسر قوله تعالى: ﴿**اشمأزت**﴾ أي: استكبرت. كما قال تعالى: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾ [الصافات، ٣٥]، أي: عن المتابعة والانقياد لها. فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر، ولهذا

قال: ﴿**وإذا ذكر الذين من دونه**﴾ أي: من الأصنام والأنداد كما قاله مجاهد[1].

وللأستاذ سيد قطب رحمه الله لفتة جيدة حول هذه الآية، حيث يقول: (الآية تصف واقعة حال على عهد النبي ﷺ، حين كان المشركون يهشون ويبشون إذا ذكرت آلهتهم، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد.

ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً، وإلى شريعة الله وحدها قانوناً، وإلى منهج الله وحده نظاماً، حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشُّوا وبشُّوا ورحَّبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد، هؤلاء هم بعينهم الـذين يصـوِّر الله نموذجاً منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان، هم ممسوخو الفطرة منحرفو الطبيعة، الضـالّون المضلُّون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام، والجواب على هذا المسخ والانحراف والضلال هو ما لقَّنه الله لرسوله ﷺ في مواجهة مثل هذه الحال: ﴿**قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ [الزمر، ٤٦])[2].

لقد حرص هذا الدين على تنقية القلوب لتصلح مقرّاً لوحي علام الغيوب، وواقع الناس أمام هذه الآية واقع عجيب: فمنهم من

(١) «تفسير ابن كثير» ٩٣/٧.

(٢) الظلال ٣٠٥٥/٥.

إذا سمع ذكر الله ووحيه وسنَّة نبيه اشمأز قلبه وتزلزل من مكانه، بل ويسلِّط لسانه على الدين وأهله سبّاً وشتماً واستهزاءً وغمزاً وتبكيتاً وبهتاً، وإلصاق التهم بمن يذكِّرونه بالله واليوم الآخر، وما أكثر هذا الصنف لا كثَّرَهُم الله: ﴿**وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**﴾ فكل ما دون الله فهو باطل، إذا سمع مزامير الشيطان ومسلسلات المجون وتمثيليات العفن الفني حيا قلبه وتفتحت مشاعره وهشَّ وبشَّ، لأن نفسه تربَّت على مقارفة الحرام وسماع الحرام وأكل الحرام.

هذا الوضع وهذه الحال تكشف لنا سرائر النفوس وحقائقها، ليظهر من يقدِّم مراد الله ومراد رسوله حتى يصبح ذلك أحبَّ إليه من كل محبوب، ممن يقدم الهوى والشهوة والشيطان، كيف وقد قال المصطفى ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان، وذكر منها، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما**»(١).

لذا وجب على الإنسان أن ينظر في نفسه، فإن وجدها تميل للباطل وتكره الحق وتعادي أولياء الرحمن فليعلم أن إيمانه مدخول، وأن يقينه مغشوش، لأنه قد تحقق فيه قول الله تعالى: ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾.

إن واقع الناس شاهد على هذا بجلاء، فهناك من يحبُّ المجرمين والكفرة والفسَّاق، ويعشقون أخلاقهم ويقلِّدون تصرفاتهم

---

(١) البخاري في الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/٦٠ ح ١٦، ومسلم في الإيمان ح ٤٣.

وحركاتهم، ويعرفون عن أحوال هؤلاء مالا يعلمونه عن أخبار أهل الخير والصلاح، وعندهم ضيق وتضجر من معرفة الحق والإيمان.

إن هذه الآية الكريمة ذات مدلول نفسي كبير، يعقلها ويقدِّر قدرها من تذوق حلاوة القرآن وعرف أسراره وعظيم بلاغته، ويغفل عنها كل قلب ران عليه الغشُّ والغبش، وغداً تبلى السرائر، وتبرز أنَّات الألم، ولات ساعة مندم، فليتق الله عبد عرف هذا ومنَّ عليه ربه ببقية من العمر وفسحة من الأجل، أن يتدارك ما فات ويحرص على فعل الحسنات حتى يكفِّر الله بها عنه السيئات.

والله الموِّفق والهادي إلى سواء السبيل.

# أصـــول السنَّـة

عصرنا عصر قد كثرت فيه الأهواء والفرق والنحل، وكل يدّعي أنه على الحق، ولا بد لنا أن نتبين أصول السنة عند أهل السنة والجماعة، حتى نعرف ما عليه سلفنا وأجمعوا عليه فنعلم أنه الحق ونعض عليه بالنواجذ ونحذر من زخرفة أهل الباطل وأصحاب الأهواء.

وقد رأيت أن أورد هنا نصاً عظيماً لإمام أهل السنة والجماعة، الإمـام أحمـد بن حنبل رحمه الله يمتاز بسهولة العرض ووضوح العبارة، ونصاعة الهدف، مع جزالة في اللفظ والمعنى؛ يقول رحمه الله: (أصول السنة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصـومـات والجلوس مع أصحـاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ.

والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن. وليس في السنة قياس، ولا تضـرب لهـا الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء: إنما هي الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن

بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له مثل حديث الصادق والمصدوق وما كان مثله في القدر.

ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلَّم الجدل، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهي عنه، ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنّة من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالآثار.

والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق. وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره..

والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما رُوي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح.. والإيمان بالميزان ووزن أعمال العباد كما جاء في الأثر. والإيمان به والتصديق به، والإعراض عن من ردَّ ذلك وترك مجادلته.

وأن الله تبارك وتعالى يكلِّم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان، والإيمان به والتصديق به.

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة، ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحَّت به الأخبار من غير وجه.

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عز وجل، وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به.

والإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة، كما جاء في الأثر كيف شاء الله وكما شاء، إنما هو الإيمان والتصديق.

والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن. وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لدّ.

والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، كما جاء في الخبر «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»(١).

ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر وقد أحل الله قتله.

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة. كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك.

---

(١) أبو داود في السنة ح ٤٦٨٢، والترمذي ح ١١٦٢.

ثم بعد هؤلاء الثلاثة: أصحاب الشورى الخمسة علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد. كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام.

ونذهب إلى حديث ابن عمر «كنا نعدُّ ورسول الله ﷺ حيٌّ وأصحابه متوافرون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت»[1].

ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقة معه، وسمع منه ونظر إليه، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير.

والسمع والطاعة للأئمة. وأمير المؤمنين: البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به. ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين. والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك.

---

(١) أحمد في المسند ٢/١٤، وفي فضائل الصحابة ح ٥٨، وعبدالله بن أحمد في السنّة ح ١٣٥٠.

وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم.

ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه بَرَّاً كان أو فاجراً. وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّى جائزة تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء.

ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شقَّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإنْ مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.

ولا يحلُّ قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريقة.

وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله، ويدفع عنها بكل ما يقدر عليه..

ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله.

ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائباً غير مصرٍّ عليه فإن الله عز وجل يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، ومن لقيه مصرًّاً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله عز وجل، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له. ومن لقيه كافراً عذَّبه ولم يغفر له.

والرجم حق على من زنا وقد أحصن إذا اعترف أو قامت عليه بينة. وقد رجم رسول الله ﷺ، وقد رجمت الأئمة الراشدون.

ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً، حتى يترحَّم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً.

والنفاق هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ..

والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ. فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذِّب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

ومن مات من أهل القبلة موحِّداً يُصلَّى عليه ويُستغفر له، ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً وأمره إلى الله عز وجل)[1].

انتهت أصول السنة عند الإمام أحمد رحمه الله، وهي لا شك

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ج ١/١٥٦-١٦٤، بتصرف بسيط.

قواعـد عظيمـة ترسم الخـطوط الرئيسة لمعتقد ومنهج أهل السنة والجماعة، بعيداً عن غلوِّ الخوارج وتفريط المرجئة.

نسأل الله الثبات والسداد والتوفيق...

# كيف طبَّق الرعيل الأول مفاهيم العقيدة؟

أمتنا اليوم ـ وغير اليوم ـ بحاجة ماسة إلى معرفة وتبيين كيف طبق الرعيل الأول ـ وهم سلف هذه الأمة ـ هذه العقيدة الإيمانية الصحيحة؟.

كيف انتقلوا هذه النقلة العظيمة من حياة الشرك والخرافة، والكفر والضلال إلى حياة الإيمان والإسلام وعبادة الواحد الأحد؟.

كيف أخذوا ـ رحمهم الله ـ دينهم بجدية تامة واتباع وتسليم وانقياد مطلق لتنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ؟.

كيف قابلوا تدرُّج التشريع الرباني على مدى ثلاث وعشرين سنة هي مدة نزول الوحي؟ هذه الأسئلة يجيب عليها بتفصيل دقيق إمام من أئمة أهل السنة هو سفيان بن عيينة، أورده الآجري رحمه الله في كتابه القيم الشريعة بما نصه: (حدّث محمد بن عبدالملك المصيصي قال: كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة، فسأله رجل عن الإيمان؟ فقال: قول وعمل. قال: يزيد وينقص؟ قال: يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه، وأشار سفيان بيده.

قال الرجل: كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول

بلا عمل؟ قال سفيان: كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الإيمان وحدوده.

إنَّ الله عز وجل بعث نبينا محمداً ﷺ إلى الناس كلهم كَافَّة أن يقولوا: لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فلما قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل. فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم: أمره أن يأمرهم بالصلاة، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول. فلما علم الله جلا وعلا صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة، فأمرهم، ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقولوا كقولهم، ويصلُّوا صلاتهم، ويهاجروا هجرتهم، فأمرهم ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتالهم، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبُّداً، وأن يحلقوا رؤوسهم تذلُّلاً، ففعلوا، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهِّرهم بها، فأمرهم ففعلوا، حتى أتوا بها قليلها وكثيرها، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم، ولا طوافهم، فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده قال عزَّ وجلَّ: قل لهم: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام**

دينا﴾[المائدة: ٣].

قال سفيان: (فمن ترك خُلَّةً من خلال الإيمان كان بها عندنا كافراً، ومن تركها كسلاً أو تهاوناً بها أدَّبناه وكان بها عندنا ناقصاً. هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس)(١).

إن ذلك الجيل القرآني (لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التذوُّق والمتاع. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه، وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته. يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان «الأمر اليومي» ليعمل به فور تلقيه، ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها كما جاء ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا الشعور «شعور التلقي للتنفيذ» كان يفتح لهم من القرآن آفاقاً من المتاع وآفاقاً من المعرفة، لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع، وكان ييسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف، ويخلط القرآن بذواتهم

---

(١) الشريعة لأبي بكر الآجري، ص ١٠٤، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩هـ، تحقيق محمد حامد الفقي ـ الناشر: مطبعة أنصار السنة.

ويحـوِّلـه في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى ثقافة متحـركة لا تبقى داخل الأذهان، ولا في بطون الصحائف، إنما تتحول آثاراً وأحداثاً تحوِّل خط سير الحياة.

. . . إن هذا القـرآن جاء ليكـون منهاج حياة، منهاجاً إلهياً خالصاً، وكان الله سبحانه يأخذهم بهذا المنهج مفرَّقاً يتلو بعضه بعضاً ﴿**وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**﴾ [الإسراء، ١٠٦].

. . . منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول[١].

انظر - رعاك الله - لمنهج الرعيل الأول وقد سبق بيانه، وانظر إلى منهج الخلف الذين تناولوا نصوص الوحي بالتبديل والتحريف والتـأويل والاستـدراك والتعسف فكانت نتيجة الجيل الأول ما هو معلوم بالضرورة لكل الناس، وكانت نتيجة الأجيال المتأخرة، هذه الهزيمة والتقهقر والخذلان والتفرق.

لذا وجب على ذوي الحِجا وأصحاب الغيرة، تجديد دعوة الأمة لمنهاج أهل السنة، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. والله المستعان.

---

(١) معالم في الطريق ١٥-١٦ ط دار الشروق.

# مخالفة الأمر أعظم من عمل المنهيِّ عنه

هذه مسألة عظيمة قد يغفل عنها كثير من الناس وهي: أيهما أعظم خطراً على الإيمان: ترك الأمر أم ارتكاب المنهيِّ؟

يقول سهل بن عبدالله: «ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي، لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه».

ويعلل ابن القيم رحمه الله ذلك: بأن مصدر ارتكاب النهي في الغالب هو الشهوة والحاجة، أما ذنب ترك الأمر فمصدره في الغالب: الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وإن سرق.

ثم إن فعل المأمور أحبُّ إلى الله من ترك المنهي، كما دل على ذلك قوله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها**»(١) وقوله تعالى: ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ [آل عمران، ١٤٨]، ﴿**والله يحب الصابرين**﴾ [آل عمران، ١٤٦)، وترك المنهي مقصود لتكميل فعل المأمور فهو منهي عنه لأجل كونه يخلُّ بفعل المأمور، أو يضعفه وينقصه، كما نبه سبحانه على ذلك في النهي عن الخمر والميسر بكونهما يصدَّان عن ذكر الله وعن الصلاة.

---

(١) أبو داود في الصلاة ١/٢٩٦ ح ٤٢٦، والترمذي في الصلاة ح ١٧٠.

فالمنهيَّات قواطع وموانع صادَّة عن فعل المأمورات أو عن كمالها، فالنهي عنها من باب المقصود لغيره، والأمر بالواجبات من باب المقصود لنفسه.

ألا ترى أن الأمر قوة في الإيمان، والنهي حمية عما يشوش تلك القوة، وحفظ القوة مقدم على الحمية، فإن القوة كلما قويت دفعت المواد الفاسدة.

واعلم أن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه وزينته وسروره، وقرة عينه ولذته ونعيمه فإنه لو ترك جميع المنهيات، ولم يأت بالإيمان والأعمال المأمور بها لم ينفعه ذلك الترك شيئاً وكان خالداً مخلَّداً في النار.

فإنَّ المدعوَّ إلى الإيمان إذا قال: لا أصدق ولا أكذِّب ولا أحبُّ ولا أبغض، ولا أعبده ولا أعبد غيره كان كافراً بمجرد الترك والإعراض، بخلاف ما إذا قال: أنا أصدق الرسول وأحبه وأومن به وأفعل ما أمرني، ولكن شهوتي وإرادتي وطبعي حاكمة عليَّ لا تدعني أترك ما نهاني عنه.. فهذا لا يُعدُّ كافراً بذلك، ولا حكمه حكم الأول، فإنَّ هذا مطيع من وجه، وتارك الأمر جملة لا يُعدُّ مطيعاً بوجه.

لأن الطاعة والمعصية إنما تتعلق بالأمر أصلاً وبالنهي تبعاً، فالمطيع ممتثل المأمور، والعاصي تارك المأمور، قال تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم**﴾ [التحريم، ٦].

ثم إن المقصود من إرسال الرسل: طاعة المرسل، ولا تحصل

إلا بامتثال أوامره، واجتناب المناهي من تمام امتثال الأوامر ولوازمه.

وامتثال الأمر عبادة وقربة، وتلك هي العبادة التي لأجلها خلق الخلق. قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات، ٥٦].

ثم إن الله تعالى قد جعل جزاء المأمورات عشرة أمثال فعلها، وجزاء المنهيات مثل واحد، وهذا يدل على أن فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهى عنه.

ولذلك فإن آثار كراهته سريعة الزوال، فقد يزيلها سبحانه بالعفو والتجاوز، وبالتوبة والاستغفار، والأعمال الصالحة، والمصائب المكفرة، والشفاعة، والحسنات يذهبن السيئات، ولو بلغت ذنوب العبد عنان السماء ثم استغفره غفر له. ولو لقيه بقراب الأرض خطايا، ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لآتاه بقرابها مغفرة(١).

فوجود ما يحبُّه من توبة العبد وطاعته وتوحيده دليل على أن ذلك أحب إليه، وأرضى له، فهو سبحانه أفرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد، والعقيم الوالد، والظمآن الوارد.

والفعل المأمور به إذا فات فاتت الحياة المطلوبة للعبد، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ [الأنفال، ٢٤]. وقال: ﴿**أومن كان ميتاً**

(١) يقول ﷺ: «قال الله: يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»، الترمذي في الدعوات ح ٣٥٤٠. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

**فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾** [الأنعام، ١٢٢]، وقال في حق الكفار: **﴿أموات غير أحياء﴾** [النحل، ٢١]، وقال: **﴿إنَّك لا تسمع الموتى﴾** [النمل، ٨٠]، وفعل المأمور يقتضي ترك المنهي عنه إذا فُعل على وجهه من الإخلاص والمتابعة والنصح لله فيه. قال تعالى: **﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾** [العنكبوت، ٤٥]، فالأمر بالشيء نهي عن ضده من طريق اللزوم العقلي لا القصد الطلبي، وهذا هو الصواب في مسألة الأمر بالشيء هل هو نهي عن ضده أم لا؟)[١].

في حياة الناس إذا صدر الأمر ممن له صلاحية إصداره وضرب العقوبة على مخالفته فسيقابل هذا الأمر بالجدِّيَّة والتنفيذ طاعةً له وخوفاً من عقوبته.

فكيف إذا صدر الأمر من ربِّ كل شيء ومليكه، الذي بيده أزِمَّة الأمور كلها، القوي الذي لا يُقهر، والعزيز الذي لا يُغلب، والمقتدر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومع هذا تجد في الناس من لا يعظِّمون أمره، ولا يحترمون أمر رسوله ﷺ! ولهذا وجب على الأمة كلها أن تقدر أمر الله وأمر رسوله، وأن تلبِّي أمر الله وأمر رسوله وأن تحذَر من موارد الهلاك والردى بارتكاب ما حرَّم الله ونهى عنه، وإلا فإن من لم يُجِبْ داعي الله فليس بمعجز في الأرض ولا في السماء.

---

(١) انظر «الفوائد» لابن القيم من ١٥٤-١٦٦.

# الجمع بين الأمر بالعمل وعدم دخول الجنة به

سُئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿**ونودوا أن تلكمُ الجنَّة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ [الأعراف، ٤٣]، هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ أم ينقضه قوله ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنَّة بعمله، قيل ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[(١)].

فأجاب رحمه الله بقوله:

لا مناقضة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة، إذ المُثبت في القرآن ليس هو المنفيَّ في السنة، والتناقض إنما يكون إذا كان المثبت هو المنفيَّ، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿**تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾. وقال: ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ [الحاقة، ٢٤]، وقال: ﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون**﴾ [السجدة، ١٩]، فبين بهذه النصوص أن العمل سبب للثواب، والباء للسبب. كما في مثل قوله تعالى: ﴿**فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات**﴾ [الأعراف، ٥٧]، وقوله: ﴿**وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**﴾ [البقرة، ١٦٤]، ونحو

(١) صحيح مسلم ح ٢٨١٧.

ذلك مما يبين به الأسباب.

ولا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، والله قدّر لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح، كما قدّر دخول النار لمن يدخلها بعمله السيِّىء، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله: أفلا نتَّكل على الكتاب وندع العمل؟ قال: لا. اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له. أما من كان من أهل السعادة فسييسِّره لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسره لعمل أهل الشقاوة**»[1].

وإذا عرف أن الباء للسبب فمعلوم أن السبب لا يستقلُّ بالحكم، فمجرّد نزول المطر ليس موجباً للنبات، بل لا بد من أن يخلق الله أموراً أخرى، ويدفع عنه الآفات المانعة، فيربيه بالتراب والشمس والريح.. فالنبات يحتاج مع هذا السبب إلى فضل من الله أكبر منه.

وأما قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالاقتصاد قال: «**سدِّدوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله**» وقال: «**إنَّ هذا الدين متين، وإنه لن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة**

---

(١) صحيح البخاري في التفسير ح ٤٩٤٩، وصحيح مسلم في القدر ح ٢٦٤٧.

**والروحة وشيء من الدلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا»**[1] فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهَّمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا... وهذا غلط من وجوه:

**أحدها**: أن الله تعالى ليس محتاجاً إلى عمل العباد، كما يحتاج المخلوق إلى عمل من يستأجره، بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح: «**إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني**»[2]، والعباد إنما يعملون لأنفسهم كما قال تعالى: ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾ [البقرة، ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها**﴾ [فصلت، ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿**ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم**﴾ [النمل، ٤٠]، وقال تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**﴾ [آل عمران، ٩٧]. وأما العباد فإنهم يحتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة، ويعطونه أجرة نفعه لهم.

**الثاني**: أن الله هو الذي منَّ على العامل بأن خلقه أولاً وأحياه ورزقه، ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتاب، ثم بأن يسر له العمل وحبَّب إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١) صحيح البخاري في المرضى ح ٥٦٧٣، وصحيح مسلم ح ٢٨١٦.
(٢) صحيح مسلم كتاب البر، ح ٢٥٧٧.

**الثالث**: أنّ عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له، ومعادلاً حتى يكون عوضاً، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل.

**الرابع**: أن العبد قد ينعم ويمتع في الدنيا بما أنعم الله به عليه مما يستحق بإزائه أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة. وإذا كان كذلك لم يبالغوا في الاجتهاد مبالغة من يضره الاجتهاد، كالمنبتِّ الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

**الخامس**: أن العباد لا بدَّ لهم من سيئات، ولا بدَّ في حياتهم من تقصير، فلولا عفو الله لهم عن السيئات وتقبُّله أحسن ما عملوا لما استحقوا ثواباً، ولهذا قال ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»(1)، ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طُلبت الشفاعة من أفضل الخلق آدم ونوح وإبراهيم وموسى واعتذر كل منهم بما فعل قال لهم عيسى: «اذهبوا إلى محمد عبد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر»(2)، ولهذا قال في الحديث لما قيل له ولا أنت يا رسول الله قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه**».

فتبين بهذا الحديث أنه لا بدَّ من عفو الله وتجاوزه عن العبد، وإلا فلو ناقشه على عمله لما استحق به الجزاء. قال تعالى: ﴿**أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة**﴾ [الأحقاف، ١٦].

---

(١) البخاري في العلم ١/١٩٧ ح ١٠٣، ومسلم في كتاب الجنة، ح ٧٩.

(٢) البخاري في كتاب التفسير ٨/٣٩٥ ح ٤٧١٢، ومسلم في الإيمان ح ١٩٤.

وإذا تبين ذلك أفاد هذا الحديث: ألا يعجب العبد بعمله، بل يشهد نعم الله عليه وإحسانه إليه في العمل وأنه لا يستكثر العمل، . فإن عمله لو بلغ ما بلغ إنْ لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه لم يستحق به شيئاً، وأنه لا يكلف من العمل مالا يطيق ظانّاً أنه يزداد بذلك أجره، وأحبُّ العمل ما دام عليه صاحبه، فإن الأعمال بالخواتيم، بخلاف عمل الأجراء في الدنيا فإن الأجرة تتقسط على المنفعة، فإذا عمل بعض العمل استحق من الأجرة بقدر ما عمل ولو لم يعمل إلا قليلاً، فمن خُتم له بخير استحق الثواب وكفر الله بتوبته سيئاته، ومن خُتم له بكفر أحبطت ردَّته حسناته، فقوله ﷺ: «**سددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله**» ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولِّد اعتقادها هذه المفاسد.

وقوله: ﴿**بما كنتم تعملون**﴾ يثبت السبب الموجِب لأن يفعله العبد، ولهذا قال بعضهم (اعمل وقدر أنك لم تعمل) فلا بدَّ من العمل المأمور به، ولا بدَّ من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله، واعتراف العبد بتقصيره وقال سفيان بن عيينة: (كانوا يقولون: ينجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة بالرحمة، ويتقاسمون المنازل بالأعمال) (١)

(١) جامع الرسائل ١/١٤٥-١٥٢ بتصرف.

## صفات الجهّال بالله

الجاهل ميِّت ولو عده الناس في الأحياء، وأشدُّ أنواع الجهل خطورةً: الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته.

ومن الجهال بالله من (يبغِّضون الله إلى خلقه، ويقطعون عليهم طريق محبَّته والتودُّد إليه بطاعته من حيث لا يعلمون.

ومن قبيح صنيعهم ما يقرِّرونه في نفوس الضعفاء: أن الله لا تنفع معه طاعة وإن طال زمانها وبالغ العبد وأتى بها بظاهره وباطنه، وأن العبد ليس على ثقة ولا أمن من مكره، بل شأنه سبحانه أنه يأخذ المطيع المتقي من المحراب إلى الماخور، ومن التوحيد إلى الشرك، ويقلب قلبه من الإيمان الخالص إلى الكفر، ويروون في ذلك آثاراً صحيحة لم يفهموها، وباطلة لم يقلها المعصوم، ويزعمون أن هذا حقيقة التوحيد، ويتلون على ذلك قوله تعالى: ﴿**لا يُسأل عما يفعل**﴾ [الأنبياء، ٢٣]، وقوله: ﴿**أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**﴾ [الأعراف، ٩٩]، وقوله: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ [الأنفال، ٢٤]، ويقيمون إبليس حجة لهم على هذه المعرفة. وأنه كان طاووس الملائكة، وأنه لم يترك في السماء رقعة، ولا في الأرض بقعة إلا وله فيها سجدة أو ركعة، لكن جنى عليه جاني القدر وسطا عليه الحكم،

فقلب عينه الطيبة وجعلها أخبث شيء، حتى قال بعض عارفيهم: إنك ينبغي أن تخاف الله كما تخاف الأسد الذي يثب عليك بغير جرم منك، ولا ذنب أتيته.

ويحتجُّون بقول النبيِّ ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»(١).

وهـذا كله مبنيٌّ على أصلهم البـاطـل، وهـو إنكار الحكمة والتعليل والأسباب، وأن الله لا يفعل لحكمة ولا بسبب، وإنما يفعل بمشيئة مجردة من الحكمة والتعليل والسبب... وأنه يجوز عليه أن يعذب أهل طاعته أشد العذاب، وينعم أعداءه وأهل معصيته بجزيل الثواب. وأن الأمرين بالنسبة إليه سواء... فإذا رجع العامل إلى نفسـه قال: من لا يستقرُّ له أمر، ولا يؤمن له مكر، كيف يوثق بالتقرب إليه؟ وكيف يعوَّل على طاعته واتباع أوامره، وليس لنا سوى المدة اليسيرة؟ فإذا هجرنا فيها اللذات وتركنا الشهوات وتكلفنا أثقال العبادات، وكنا مع ذلك على غير ثقة منه أن يقلب علينا الإيمان كفراً، والتوحيد شركاً، والطاعة معصية، والبرَّ فجوراً، ويديم علينا العقوبات كنا خاسرين في الدنيا والآخرة.

فإذا استحكم هذا الاعتقـاد الفاسد في قلوبهم، وتخمَّر في نفوسهم صاروا إذا أمروا بالطاعات وهجر اللذات بمنزلة إنسان يقول لولده: معلِّمك إن كتبت وأحسنت وتأدَّبت ولم تعصه ربما أقام لك

---

(١) البخاري في القدر ١١/٤٧٧ ح ٦٥٩٤، ومسلم في القدر ح ٢٦٤٣.

حجَّة وعاقبك، وإن كسلت وبطلت وتعطَّلت وتركت ما أمرك به ربما قربك وأكرمك. فيستقرُّ في قلب هذا الصبيِّ مالا يثق بعده إلى وعيد المعلم على الإساءة، ولا وعده على الإحسان. . وبهذا يفلس هذا المسكين من اعتقاد كون الأعمال نافعة، أو ضارة، فلا بفعل الخير يستأنس، لا بفعل الشر يستوحش.

وهل في التنفير عن الله وتبغيضه إلى عباده أكثر من هذا؟

ولو اجتهد الملاحدة على تبغيض الدين والتنفير عن الله لما أتوا بأكثر من هذا.

وصاحب هذه الطريقة: يظن أنه يقرر التوحيد والقدر، ويرد على أهل البدع وينصر الدين، ولعمر الله أن العدو العاقل أقل ضرراً من الصديق الجاهل.

وكتب الله المنزلة كلها ورسله كلهم شاهدة بضد ذلك، ولا سيما القرآن، فلو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به الناس إليه لصلح العالم صلاحاً لا فساد معه.

فالله سبحانه أخبر وهو الصادق الوفيّ، أنه إنما يعامل الناس بكسبهم، ويجازيهم بأعمالهم ولا يخاف المحسن لديه ظلماً ولا هضماً، ولا يخاف بخساً ولا رهقاً، ولا يضيع عمل محسن أبداً.

ولا يضيع على العبد مثقال ذرة ولا يظلمها: ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء، ٤٠]، وأنه يجزي بالسيئة مثلها ويحبطها بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصائب، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ويضاعفها إلى سبعمائة

ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وهو الذي أصلح الفاسدين، وتاب على المذنبين، وهدى الضالين، وأنقذ الهالكين، وعلم الجاهلين، وبصر المتحيرين، وذكر الغافلين، وآوى الشاردين، وإذا أوقع عقاباً أوقعه بعد شدة التمرد، والعتو عليه، ودعوة العبد إلى الرجوع إليه والإقرار بربوبيته وحقه مرة بعد مرة حتى إذا أيس من استجابته والإقرار بربوبيته ووحدانيته.. أخذه ببعض كفره وعتوه وتمرده، بحيث يعذر العبد من نفسه، ويعترف بأنه سبحانه لم يظلمه، وأنه هو الظالم لنفسه كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿**فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير**﴾ [الملك، ١١] وقال عنهم إنهم قالوا: ﴿**يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين**﴾ [الأنبياء، ١٥]، يقول الحسن: لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه حجة ولا سبيلاً.

ولهذا قال عقيب إخباره عن الحكم بين عباده ومصير أهل السعادة إلى الجنة، وأهل الشقاء إلى النار: ﴿**وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين**﴾ [الزمر، ٧٥]، ولما سأله نوح عليه السلام نجاة ابنه أخبر أنه يغرقه بسوء عمله وكفره ولم يقل إني أغرقه بمحض مشيئتي وإرادتي بلا سبب ولا ذنب.

وقد ضمن سبحانه زيادة الهداية للمجاهدين في سبيله ولم يخبر أنه يضلهم ويبطل سعيهم، وأخبر أنه لا يضل إلا الفاسقين الذين ينقضون عهده من بعد ميثاقه، وأنه إنما يضل من آثر الضلال واختاره على الهدى، فيطبع حينئذٍ على سمعه وقلبه، وأنه يقلب قلب من

لم يرضَ بهداه.

وقد أزاح سبحانه العلل، وأقام الحجج، ومكن من أسباب الهداية، وأنه لا يضل إلا الفاسقين والظالمين، ولا يطبع إلا على قلوب المعتدين، ولا يركس في الفتنة إلا المنافقين بكسبهم، وأن الرين الذين غطى به قلوب الكفار هو عين كسبهم وأعمالهم كما قال: ﴿**كلاًّ بلْ ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ [المطففين، ١٤] وقال عنهم: ﴿**وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم**﴾ [النساء، ١٥٥]، وأما كون الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فإن هذا فيما ظهر للناس. ولو كان عملاً صالحاً مقبولاً قد أحبه الله ورضي به لم يبطله عليه.

وأما إبليس فقد ظهر ما في قلبه من الكبر والغش والحسد فأبى واستكبر وكان من الكافرين[1]. هذا التوضيح العلمي المدلل بالأدلة الشرعية جدير أن ينتبه له الدعاة ويسمعه الناس حتى لا يسيئوا الظن بربهم والله يقول الحق ويهدي إلى سواء الصراط.

---

(١) بتصرف من كتاب «الفوائد» ٢٠٧-٢١٤.

# أصل المفاسد: القول على الله بلا علم

القول على الله بلا علم مزلق من مزالق الشيطان، وهو قرين الشرك بالله، بل إنه (من أشد المحرمات وأعظمها إثماً، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال.

فإنَّ المحرَّمات نوعان: محرَّم لذاته لا يباح بحال، ومحرَّم في وقت دون وقت. قال الله تعالى في المحرَّم لذاته: ﴿**قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ [الأعراف، ٣٣] ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿**والإثم والبغي بغير الحق**﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿**وأن تُشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿**وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾ فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثماً، فإنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلا ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته، وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله، وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه، وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه، وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثماً، وهو أصل الشرك والكفر وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة

مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم. ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك مالم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان. إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب**﴾ [النحل، ١١٦] فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى مالم يصف به نفسه أو نفى عنه منها ما وصف به نفسه؟.

قال بعض السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحلَّ الله كذا، وحرَّم الله كذا، فيقول الله: كذبت لم أحلَّ هذا ولم أحرِّمْ هذا. يعني التحليل والتحريم بالرأي المجرَّد بلا برهان من الله ورسوله.

وأصل الشرك والكفر: القول على الله بلا علم، فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبوداً من دون الله يقربه إلى الله، ويشفع له عنده، ويقضي حاجته بواسطته كما تكون الوسائط عند الملوك، فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس. إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله، فهو أعمُّ من الشرك، والشرك فرد من أفراده.

ولهذا كان الكذب على رسول الله ﷺ موجباً لدخول النار، واتخاذ منزلة منها مبوَّءاً وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه، لأنه متضمن للقول على الله بلا علم كصريح الكذب عليه، لأن ما انضاف إلى الرسول فهو مضاف إلى المرسِل، والقول على الله

بلا علم صريح افتراء الكذب عليه: **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾** [الأنعام، ٢١].

فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس ولا تتحقق التوبة منه إلا بالتوبة من البدع، وأنى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها ويحض عليها فلا تنكشف لهذا ذنوبه، التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة. وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث والتفتيش عليها، ولا نرى صاحب بدعة كذلك أبداً.

فإن السنة ـ بالذات ـ تمحق البدعة، ولا تقوم لها، وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة، وأزالت ظلمة كل ضلالة. إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس، ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة إلا المتابعة، والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله بالاستعانة والإخلاص وصدق اللجأ إلى الله والهجرة إلى رسوله ﷺ بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته، «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**»(١) ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة(٢).

وإنك لَترى في مجالس الناس من يسأل عن مسألة من مسائل الشرع فينبري للإجابة عليها عامي لا يعرف الكوع من البوع ولا

---

(١) البخاري كتاب بدء الوحي، ح ١.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» ٢٠٨-٢٠٩.

الألف من الباء فيحلل ويحرم ويفتري على الله الكذب، ومن المؤلم أن هذا المجلس قد يكون بعض طلاب العلم فيه، فلا يغيرون هذا المنكر ولا يسكتون هذا الجاهل.

وطـامة أخرى أصيب بها بعض المنتسبين للعلم حيث ينفخ الشيطان في أوداجه، ويرى التفات الناس إليه فيسأل عن مسائل لا علم له بها فتأخذه العزة بالإثم ويشرع في الفتوى والقول على الله بلا علم. ولعمر الله إنها لمن الدواهي والطوام.

ألا فليتق الله كل واحد منا وليحذر من القول على الله بلا علم، وليتذكر دائماً أن القول على الله بلا علم قرين الشرك، بل ذهب ابن القيم كما مر بك إلى أنه أعظم من الشرك فالله المستعان.

# أنــواع الشــــرك

أشد أنواع الظلم: هو الشرك بالله قال سبحانه: ﴿**إنَّ الشرك لظلم عظيم**﴾ [لقمان، ١٣] ومعناه: أن يُسوَّى غير الله بالله، فيما هو من خصـائص رب العـالمين سبحـانه وتعالى مثل: المحبة، والـدعـاء، والخشية، والإنـابـة، والذبح والنذر، والانقياد والحكم والخوف والرجاء، وقد نبهنا الله إلى خطورة الشرك فقال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً**﴾ [النساء، ٤٨]، ﴿**ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾ [النساء، ١١٦].

وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**»(١). لذا كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام تدعو أول ما تدعو إليه إلى عبادة الله وحده، ونفي الشرك، . فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك(٢). وأنواعه أربعـة:

---

(١) البخاري في الجنائز ٣/١١٠ ح ١٢٣٨، ومسلم في الإيمان ح ٩٢.

(٢) انظر «معارج القبول» ١/٤٤٠-٤٤١، وألفت نظر القارىء إلى كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأولاده وعلماء الدعوة من بعده، حيث اهتموا كثيراً بموضوع الشرك وتفاصيل مسائله، على نحو لم يكادوا يُسبقوا إليه، فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم.

**الأول**: شرك الدعوة، قال تعالى: ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾ [العنكبوت، ٦٥] وقال تعالى: ﴿**هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، فلما نجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق**﴾ [يونس ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: ﴿**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون**﴾ [الأنعام ٦٣-٦٤]. وقال تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً**﴾ [الإسراء، ٦٧]، وكم في حياة الناس من هذا الصنف كثير وكثير، يخلصون لله في الشدائد، وينسونه في الرخاء، ومن هنا كان الهدي النبوي يدلنا على أن نتعرف إلى الله في الرخاء حتى يعرفنا في الشدة.

**الثاني**: شرك المحبَّة، قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ [البقرة، ١٦٥]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»(١).

---

(١) مسلم في الإيمان ح ١٤١.

وكم من المحبوبات أخرجت صاحبها من الملة، وكم من المحبوبات طغى حبها على حب الله وحب رسوله، وكم في حياة الناس من يقدم مراد محبوبه المخلوق على مراد الله، بل إذا تعارض عنده حب دين الله وأمره وحب غيره، قدَّم حب الغير على حب الهه ومعبوده فنعوذ بالله من حال أولئك، ونسأل الله أن يكون حبنا لربنا أحب إلينا من كل محبوب إنه على كل شيء قدير.

**الثالث**: شرك الطاعة: قال الله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ [التوبة، ٣١].

قال عديٌّ بن حاتم لرسول الله ﷺ بعد ما سمعه يقرأ هذه الآية: إنهم لم يعبدوهم! فقال رسول الله ﷺ: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**»[(١)].

إن التحليل والتحريم حق من حقوق الله تعالى، بل هو من خصائص ألوهيته سبحانه فمن نازعه في ذلك فقد أشرك.

وفي حياة الأمة المسلمة وخاصة في القرون الأخيرة كان لهذا الشرك نصيب كبير في حياة الأمة، حيث حُكم المسلمون في كثير من بقاع العالم الإسلام بالقانون الوضعي الوثني، وأُلزم الناس في تلك الأصقاع بالتحاكم إلى الطاغوت وهو شريعة بشرٍ كفَّارٍ ملاحدة، فكان ذلك من أعظم المحادَّة لله ولدينه ولشريعة نبيه ﷺ.

**الرابع**: شرك الإرادة والقصد: قال الله تعالى: ﴿**من كان يريد**

---

(١) الترمذي في التفسير ٥/٢٧٨، ح ٣٠٩٥.

**الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها، وباطل ما كانوا يعملون﴾** [هود، ١٥-١٦]، وإذا قصد العبد بعمله غير الله، وأراد بعمله مع الله غيره فذاك صريح الشرك.

وهذا النوع من الشرك يتسرب إلى القلوب التي علقت بمطامع الدنيا وحب الرياسة فيها والتزلُّف إلى البشر وطلب رضاهم، والتماس الوجاهة عندهم. وقد حذر ربنا تبارك وتعالى من ذلك في الحديث القدسي: «**من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(١).

ومن أقسام الشرك: الشرك الأصغر يقول ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**»(٢).

ومن أنواع الشرك الأصغر أيضاً: الحلف بغير الله كمن يحلف بالآباء والأمهات والأمانة يقول ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(٣).

ومنه أيضاً قول: (ما شاء الله وشئت)، يقول ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»(٤).

---

(١) مسلم في الزهد ح ٢٩٨٥.
(٢) أحمد في المسند ٤٢٨/٥.
(٣) مسلم في الأيمان ح ١٦٤٦.
(٤) أبو داود بسند صحيح ح ٤٩٨٠، وانظر الصحيحة للشيخ ناصر الألباني ١٣٧.

إن الألسنة التي تعوَّدت على ألفاظ الشرك لا بد أن تُنهى عن ذلك وتُزجر، وتعلم حقيقة التوحيد في القول والعمل، وأن الاحتجاج بالإلف والعادة على التلفظ بهذه الشركيات لا يُغني من الحق شيئاً. وقانا الله شر الشرك كبيره وصغيره، قليله وكثيره، خفيِّه وظاهره، إنه سميع قريب مجيب.

# خطورة الهوى على الإيمان

الهوى عدو من الأعداء الذين حذرنا الله تبارك وتعالى منهم، وبين لنا كيف جرَّ الهوى قوماً من الإيمان إلى الخروج من الملة، وكيف عبده آخرون فجرَّ عليهم سخط الله ونقمته فقد سُمِّي الهوى هوى لأنه كما يقول الإمام الشعبيّ رحمه الله: (يهوي بصاحبه[1]) وقال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه)[2].

وممن حذَّرنا الله من اتباعهم ـ لأنهم أصحاب هوى ـ اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿**ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير**﴾ [البقرة، ١٢٠]. وسمَّى الله سبحانه تحكيم غير شرعه اتباعاً للهوى فقال: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾ [المائدة، ٤٩]، وسمى سبحانه عبادة غيره اتباعاً للهوى فقال

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص ١٤.

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» ٢/٤٠٢.

تعالى: ﴿**قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين**﴾ [الأنعام، ٥٦] وقال سبحانه: ﴿**ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون**﴾ [المؤمنون، ٧١].

(والنفس حين تنفلت من كل المعايير الثابتة، والمقاييس المعلومة، والموازين المضبوطة، وتخضع لهواها، وتحكم شهواتها، وتتعبد ذاتها، فلا تخضع لميزان، ولا تعترف بحد، ولا تقتنع بمنطق: فما ذاك إلا بسبب اعتراض هواها الطاغي الذي جعلت منه إلهاً يعبد ويطاع، ولذلك قال الله في حق هؤلاء: ﴿**أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً**﴾)[1] [الفرقان، ٤٤].

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين الذين عصوا هواهم، فقال تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ [النازعات، ٤٠-٤١]، فزجر النفس عن هواها طريق للفلاح والنجاح وانتصار للإيمان على ما يضاده من الهوى وما يتبعه من ضلالات، وحتى يستبين لك - أيها القارىء الكريم - خطر الهوى أجمل لك ذلك في الأمور التالية:

١- أنه يصد عن الحق.

٢- أنه يفسد العقل. وفي هذا يقول الشاعر:

---

(١) «الظلال» ٥/٢٥٦٦.

إنَّ الـهــوى يفـســدُ العقــلَ السَّليمَ ومن
يعصِ الــهــوى عَاشَ في أمــنٍ من الضَّـــرر

٣ـ التنازع الذي بسببه يوضع الحق في كفة وتوضع الذات في كفة، ومن ثم ترجيح الذات على الحق.

٤ـ البطالة والقعود عن المشاركة في أبواب الخير(١).

يقول الشاطبي رحمه الله: (الهوى مضادٌّ للحق، حيث لم يذكر الهوى في موضع من كتاب الله إلا كان ذلك في معرض الذم له، ولمتبعيه، ولهذا كان من مقاصد الشارع: الخروج عن اتباع الهوى)(٢).

ورحم الله سلف هــذه الأمــة حيث حذروا من أصحــاب الأهواء، بل عقدوا أبواباً في مصنفاتهم بعنوان «التحذير من أصحاب الأهواء والآراء الردية» وإن المتأمل للمسيرة التاريخية لهذه الأمة يجد أصحاب الأهواء يفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنسل حين يتباطأ أهل الحق ويختلفون.

إن مجاهدة النفس في مخالفة هواها لأمر هامٌّ وشـاقٌّ، ولكنه يسير على من علم الله منه صدق النيّة والإخلاص، وبالمجاهدة لهـوى النفس يحلو المسير إلى رب العـالمين، وتحصل السعادة باستعلاء الحق على داعي الهوى. والله الموفق والمستعان.

---

(١) «العوائق» ص ٦٤.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق.

## ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم

كما أن للإيمان أركاناً، فإنَّ له خوارم وهوادم، ومن ذلك الدفاع والمجادلة عن الذين يختانون أنفسهم قال الله تعالى: **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً* ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم، إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً* يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول، وكان الله بما يعملون محيطاً* ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾** [النساء، ١٠٥-١٠٩].

إنَّ هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف الأرض لها نظيراً، ولا تعرف البشرية لها شبيهاً، قصة تشهد أنَّ هذا القرآن من عند الله وحده.

ففي الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة على الإسلام والمسلمين، وحين كانوا ينشرون الأكاذيب، ويؤلِّبون المشركين، ويشجعون المنافقين ويطلقون الإشاعات، ويضللون العقول، ويشككون في الوحي والرسالة، ويحاولون تحطيم المجتمع المسلم من الداخل، في هذا الوقت الحرج كانت هذه

الآيات تنزل على رسول الله ﷺ وتربي الجماعة المسلمة لتنصف رجلاً يهودياً اتهم ـ ظلماً ـ بسرقة. وتدين هذه الآيات الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته فسُرقت درع لأحدهم، فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم: بنو أبيرق.

فأتىٰ صاحب الدرع رسول الله ﷺ يشكو مما حصل. فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي اسمه: زيد بن السمين، وقال لنفر من عشيرته: إني غيَّبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: إنَّ صاحبنا بريء، وإن الذي سرق الدرع فلان، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك.

ولما عرف النبي ﷺ أن الدرع وجدت في بيت اليهوديِّ، قام فبرَّأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس. فلم يلبثوا أن نزلت هذه الآيات: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ إلى آخر الآيات.

نعم إنه الإنصاف حتى لليهود قتلة الأنبياء. فلا ظلم في هذه الشريعة، وإنما هو قول الحق وعدم المجادلة عن من يختانون أنفسهم ولو كانوا مسلمين[1].

هذا هو التجرد للحق، وعدم الإجحاف في حق الآخرين ﴿**ولا**

---

(١) انظر «الظلال» ص ٧٥١.

**يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون﴾** [المائدة، ٨].

إنَّ هذا الدرس الربانيّ للأمة في هذه الآيات لجدير بالعبرة والاعتبار، وحريّ بأن يكون أصلاً من أصول التربية المؤمنة.

إنـه لا يجـوز بحال من الأحوال اتهام الناس بغير دليل ولا برهـان، ولا يجـوز بحال من الأحوال المجادلة عن أهل الباطل والظلم مهما كانوا، فكيف بـك ـ أيها الأخ المسلم ـ اليوم وأنت ترى في أمتنا من يجادل عن الذين يختانون أنفسهم، هناك من يجادل عن الكفار ونزاهتهم وعدالتهم.

وهناك من يجادل عن العلمانيين والحداثيين والقوميين والبعثيين وسائر الملاحدة.. وهناك من يجادل عن المبتدعة الضُّلَّال وأصحاب النِّحَل الضالَّة المضِلَّة.

وهناك من يجادل عن المرتدين الناكثين لعهود الإسلام وعقود الإيمان، ممن هدموا شريعة الله وأقصوها عن الحكم في حياة المسلمين.

وهناك من يجادل عن أكَلَة الربا، وقُطَّاع الصلاة، وأصحاب الفجور والفسوق..

وهناك من يجادل عن المجرمين الذين ينشرون الفاحشة في الذين آمنوا، ويحِبُّون أن تشيع الفوضى الجنسية البهيمية في صفـوف المسلمين والمسلمات.

وهناك من يجادل عن المستهزئين بالدين وأهله وشرائعه وأخلاقه . .

**﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾**.

ولئن كانت هذه الآيات الكريمة قد أنصفت يهودياً كافراً بالله لأنه ظُلِمَ. فما ظنك بالذين يتهمون الأبرياء من المؤمنين والمؤمنات؟

وما ظنُّك بمن يتهمون الدعاة والمصلحين بالزور والبهتان؟ . . وما حسبانك لمن يتاجرون بأعراض العلماء الربانيين؟ . . . **﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾** [النور، ١٥].

وغداً ـ صدقاً وحقاً ـ يقول ذلك المتهم بالباطل والمدافع عن الذين يختانون أنفسهم: **﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾** [الزمر، ٥٦].

# من صفات المنافقين

لم ينشأ النفاق إلا بعد قيام دولة الإسلام في المرحلة المدنيَّة من الدعوة الإسلامية، لأنَّ أصحابه من الجبن إلى الدرجة التي لا يقوون فيها على إعلان المجاهرة بالباطل، ولهذا عنيت السور المدنية في كتاب الله بكشف النفاق وأهله، وهتك أستارهم وكشف أسرارهم، حتى أفردت سورة كاملة باسمهم، لأن بليَّة الإسلام بهم شديدة جداً، فهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة.. فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه... وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه...

.. اتفقوا على مفارقة الوحي. فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون **﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾** [الأنعام، ١١٢].

قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها.. وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونيَّاتهم فأفسدتها **﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾** [البقرة، ١٠].

أسماع قلوبهم قد أثقلها الوقر، فهي لا تسمع منادي الإيمان.. وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى، فهي لا تبصر حقائق القرآن..

وألسنتهم بها خرس عن الحق فهم به لا ينطقون ﴿**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**﴾ [البقرة، ١٨].

أحدهم كالشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، ولا تستقر مع إحدى الفئتين ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً**﴾ [النساء، ١٤٣].

يعجب قولهم السامع لحلاوته ولينه، ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه ومينه.. فتراه عن الحق نائماً، وفي الباطل على الأقدام...

فخذ وصفهم من قول القدوس السلام: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام**﴾ [البقرة، ٢٠٤].

... إنْ حاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله رأيتهم عنه معرضين..

..تسبق يمين أحدهم كلامه، من غير أن يُعترض عليه، لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به، وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون، ويحلفون ليحسب السامع أنهم صادقون...

﴿**اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾ [المنافقون، ٢].

لا تستكثر أوصاف القوم، فقد كاد القرآن أن يكون كله في

شأنهم.. تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم بدقه وجله، وتفاصيله وجمله. ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين..

قال عمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما: «يا حذيفة: نشدتك بالله هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا. ولا أزكّي بعدك أحداً».

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل[1].

زرع النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة. وعين ضعف العزيمة.

فإذا تمت هذه الأركان الأربعة: استحكم نبات النفاق وبنيانه، ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكشف المستور، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور: تبيَّن حينئذٍ لمن كانت بضاعته النفاق أن حواصله التي حصلها كانت كالسراب ﴿**يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب**﴾ [النور، ٣٩].

---

(١) البخاري في الإيمان ١/١٠٩ باب (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر).

قلوبهم عن الخيرات لاهية . .
وأجسادهم إليها ساعية . . .
والفاحشة في فجاجهم فاشية . .
وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية . . .

وإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم، وكانت آذانهم واعية.

فهذه ـ والله ـ أمارات النفاق، فاحذرها أيها المسلم قبل أن تنزل بك القاضية . .

إذا عاهدوا لم يفوا . . .
وإن وعدوا أخلفوا . . .
وإن قالوا لم ينصفوا . .
وإن دُعوا إلى الطاعة وقفوا . .
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدفوا . .
وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا . .
فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من الهوان، والخزي والخسران.

فلا تثق بعهودهم، ولا تطمئن إلى وعودهم، فإنهم فيها كاذبون، وهم لما سواها مخالفون ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾[1] [التوبة، ٧٧].

---

(١) بتصرف، انظر «تهذيب مدارج السالكين» من ١٩٨ـ٢٠٤ فإنه قيِّم جدًّاً.

هذا غيض من فيض من وصف هذا العدو المدسوس في صف الأمة في كل زمان ومكان والله المستعان.

# وسطية هذه الأمـــة

لا ريب أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قد خصها الله تعالى بخصائص كثيرة وكبيرة. والمراد بالوسطية هنا العدل وقبول الحق، قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ [البقرة، ١٤٣].

ووسطية أمتنا تتجلّى في عدلها واعتدالها بين الإفراط والتفريط، فقبلها أمم غلت في أنبيائها ورسلها حتى عبدوهم من دون الله. . .

وفرَّطت أمم أخرى فكذبت الرسل وقتلت الأنبياء. . . فكانت وسـطية هذه الأمة: أنها آمنت بجميع الأنبياء والرسل، وصدقتهم جميعاً وعملت أن أولهم يبشر بآخرهم، وآخرهم مصدق لأولهم.

ومن وسطية هذه الأمة أنها قامت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، إذ قبلها أمم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، فحقت عليهم اللعنة والدمار.

وأثمـــر الأمـــر بالمعـروف والنهي عن المنكـــر في هذه الأمـــة باضمحلال الشرك والكفر والنفاق والبدعة. ولهذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان للأمة.

إن أهل السنة والجماعةممن سار على منهج السلف الصالح

هو رأس هذه الأمة ولذا نتأمل في بعض المسائل التي برزت فيها وسطيتهم رحمهم الله لنجعلهم أسوة وقدوة.

ففي مسائل الإيمان: أهل السنة والجماعة وسط وعدل في توحيد الربوبية بين أناس أهملوا هذا التوحيد حتى أشركوا مع الله غيره، وبين أناس غلو في شأنه حتى جعلوه هو الإيمان فقط. وهدى الله أهل السنة للحق الذي شهدت به مصنفاتهم في ذلك وفي توحيد الألوهية: أهل السنة عدل ووسط بين من عبدالله بالشرك والوثنية أو عبده بالبدع والضلالات وإدخال أشياء في دين الله ليست منه.

وفي شرع الله وقدره وقضائه: أهل السنة والجماعة وسط بين فريق مكذب بقدر الله ومشيئته وقدرته، فكانوا مجوساً بهذا الاعتبار، وفريق أقرَّ بالقضاء والقدر، ولكنه أنكر الأمر والنهي فكان من المشركين، الذين قال الله فيهم: **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾** [الأنعام، ١٤٨].

وفريق كان إبليسيّاً يقرُّ بالأمر والنهي والقضاء والقدر، ويجعل ذلك تناقضاً من الربِّ سبحانه فطعن في حكمة الله وعدله. وهدى الله أهل السنة والجماعة للحق فآمنوا بالله، وأنه خالق كل شيء وهو ربه ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علماً، وكل شيء أحصاه في كتاب مبين[1]. ومع هذا لا ينكرون ما خلقه تعالى من الأسباب التي يخلق بها المسببات وأنه سبحانه يفعل بالأسباب.

---

(١) «التدمرية» ص ٢٠٩.

وهدى الله أهل السنة والجماعة للحق في مسألة الإيمان فقالوا: هو قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ولا يخرج أحد من الإيمان إلّا إذا قام به ناقض من نواقضه، وبهذا وقاهم الله شر مذهب الخوارج الذين كفروا الناس بأي ذنب، ووقاهم شر مذهب المرجئة المفرطين الذين جرؤوا الناس على أحكام الله وهدم شريعته حتى أدخلوا إبليس وفرعون في دائرة الإيمان..

وظهرت وسطية أهل السنة والجماعة في مسألة الصحابة فعرفوا قدرهم وأحبوهم جميعاً وترضوا عنهم وآمنوا أنهم كلهم على اجتهاد، ولذا يمسك أهل السنة والجماعة عما شجر بين صحابة رسول الله ﷺ. أما الغلاة فبعضهم ألَّه بعض كبار الصحابة، والبعض الآخر استحلَّ قتل الصحابة وكلا الأمرين انحراف عن منهج الحق والصواب.

وهكذا في كل مسألة من مسائل الإيمان والشريعة والأخلاق، نجد أن أهل السنة والجماعة وسط وحق وعدل بين مفرِّط جاهل، أو قُلْ بين غالٍ جافٍ وبين مفرِّط متساهل ساهٍ[1].

وأهل السنة والجماعة يدورون مع الدليل الشرعي حيث دار، ولا يتعصبون لمذهب أو رأي بشر لا يدعمه دليل شرعيٌّ. فهم على قنطرة السنَّة سائرون، وعن حياض الشريعة مدافعون، وبأخلاق النبوة

---

(١) لصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر بحث قيم بعنوان «الوسطية»، هو من أنفس ما كتبه المتأخرون في هذا الباب، فليُراجَع فإنه فريد في بابه، جزاه الله خيراً وكثَّر من أمثاله في الأمة.

مستمسكون، فهم القوم لا يشقى جليسهم، ثبَّتنا الله على منهجهم وحشرنا في زمرتهم، إنه جواد كريم.

# تجربـــة موحِّـــد

لا ريب أن هذا القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، قائم تحدِّي البشرية والجنِّ به إلى قيام الساعة، وإن من إعجازه أنك قد تقف عند آية واحدة من آياته فتجدها ترسم منهاجاً كاملاً للحياة في الآجل والعاجل.

وقـد استوقفتني آية من آيات سورة فاطر هي قول الله تبارك وتعالى: **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾** [فاطر، ٤]، ثم شاء الله أن اطَّلع على تفسير هذه الآية للأستاذ الشيخ سيد قطب رحمه الله فرأيت عجباً، ووجدت كلاماً فريداً في بابه، لأنه كلام معاناة وتجربة في هذه القضية، فأحببت أن أُشرك القارىء الكريم معي في وقفة له رحمه الله عند هذه الآية؛ حيث يقول:

**﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم﴾**..

في هذه الآية الثانية من السورة صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى. وحين تستقرُّ هذه الصورة في قلب بشريٍّ يتمُّ فيه تحول كامل في تصوراته ومشاعره واتجاهاته وموازينه وقيمه في هذه الحياة جميعاً.

**إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض** وتصله بقوة الله. وتيئسه من مظنَّة كل رحمة في السماوات والأرض وتصله برحمة الله. وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض وتفتح أمامه باب الله. وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض وتشرع له طريقه إلى الله.

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرَّمه، وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته، وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير.

**ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح**. ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء. وفي كل وضع. وفي كل حال. وفي كل مكان... يجدها في نفسه، وفي مشاعره، ويجدها فيما حوله. وحيثما كان، وكيفما كان. ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان... ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء... وفي كل وضع وفي كل حالة، وفي كل مكان. ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان.

وما من نعمة - يمسك الله معها رحمته - حتى تنقلب هي بذاتها نقمة. وما من محنة تحفُّها رحمة الله - حتى تكون هي بذاتها نعمة.. **ينام الإنسان على الشوك - مع رحمة الله - فإذا هو مهاد. وينام على الحرير** - وقد أمسكت عنه - **فإذا هو شوك القتاد**. ويعالج أعسر الأمور - برحمة الله - **فإذا هي هوادة ويسر**. ويعالج أيسر الأمور - وقد تخلت رحمة الله - فإذا هي مشقة وعسر. ويخوض بها

المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام. ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار.

ولا ضيق مع رحمة الله. إنما الضيق في امساكها دون سواه. **لا ضيق ولو كان صاحبها** في غياهب السجن. أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك. ولا وسعة مع امساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم. وفي مراتع الرخاء. **فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر ينابيع السعادة والرضا** والطمأنينة. ومن **داخل** النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة.

هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب. وتوصد جميع النوافذ. وتسد جميع المسالك... فلا عليك. فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء.. وهذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع. وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء.

هذا الفيض يفتح. ثم يضيق الرزق. ويضيق السكن. ويضيق العيش. وتخشن الحياة. ويشوك المضجع.. فلا عليك. فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة. وهذا الفيض يمسك. ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء. فلا جدوى. وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء.

المال والولد. والصحة والقوة. والجاه والسلطان.. تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله. فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان.

يبسط الله الرزق ـ مع رحمته ـ فإذا هو متاع طيِّب ورخاء، وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة. ويمسك رحمته. فإذا هو مثار قلق وخوف. وإذا هو مثار حسد وبغض. وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض. وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار.

ويمنح الله الذرية ـ مع رحمته ـ فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع. ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله. ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء، وسهر بالليل وتعب بالنهار.

ويهب الله الصحة والقوة ـ مع رحمته ـ فإذا هي نعمة وحياة طيبة، والتذاذ بالحياة ويمسك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلِّطه الله على الصحيح القوي، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويدخر السوء ليوم الحساب.

ويعطي الله السلطان والجاه ـ مع رحمته ـ فإذا هي أداة اصلاح. ومصدر أمن ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته، فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على فوتهما. ومصدر طغيان وبغي بهما، ومثار حقد وموجدَة على صاحبهما لا يقر له معهما قرار، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار.

والعلم الغزير. والعمر الطويل. والمقام الطيب. كلَّها تتغير وتتبدل من حال إلى حال... مع الإمساك ومع الإرسال.. **وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه.** وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة. **والجماعات كالآحاد. والأمم**

كالأفراد. . في كل أمر وفي كل وضع، وفي كل حال. . ولا يصعب القياس على هذه الأمثال.

**ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله**. فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة. ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة. وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة. والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها. وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً. ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾.

ورحمة الله لا تعزُّ على طالب في أيِّ مكان ولا في أيِّ حال. وجدها إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار. ووجدها يوسف ـ عليه السلام ـ في الجب كما وجدها في السجن، ووجدها يونس ـ عليه السلام ـ في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى ـ عليه السلام ـ في اليمِّ وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة. كما وجدها في قصر فرعون وهو عدوٌّ له متربِّص به ويبحث عنه. **ووجدها أصحاب الكهف في الكهف** حين افتقدوها في القصور والدور. فقال بعضهم لبعض: ﴿**فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾ ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونها ويقصُّون الآثار. ووجدها كل من آوى إليها يأساً من كلِّ ما سواها. منقطعاً عن كل شبهة في قوة، وعن كل مظنَّة في رحمة، قاصداً باب الله وحده دون الأبواب.

ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك لها. ومتى أمسكها فلا مرسل لها. ومن ثَمَّ فلا مخافة من أحد. **ولا رجاء في**

أحد. **ولا مخافة من شيء**، ولا رجاء في شيء ولا خوف من فوت وسيلة، ولا رجاء مع الوسيلة. إنما هي مشيئة الله. ما يفتح الله فلا ممسك. وما يمسك الله فلا مرسل. والأمر مباشرة إلى الله... **﴿وهو العزيز الحكيم﴾**.. يقدر بلا معقب على الرسال والإمساك. ويرسل ويمسك وفق حكمة تكمن وراء الإرسال والإمساك.. **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾**..

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه.. بلا وساطة وبلا وسيلة، إلا التوجه إليه في طاعة وفي رجاء وفي ثقة وفي استسلام.. **﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾**.

فلا رجاء في أحد من خلقه، ولا خوف لأحد من خلقه، فما أحد بمرسل من رحمة الله ما أمسكه الله. أية طمأنينة؟ وأي قرار؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقرُّه هذه الآية في الضمير؟. آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة، وتنشىء في الشعور قيماً لهذه الحياة ثابتة، وموازين لا تهتزُّ ولا تتأرجح ولا تتأثَّر بالمؤثِّرات كلها. ذهبت أم جاءت، كبرت أم صغرت، جلَّت أم هانت، كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء.

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص والقوى والقيم والاعتبارات، ولو تضافر عليها الإنس والجن، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها ولا يمسكونها حين يفتحها **﴿وهو العزيز الحكيم﴾**.

# المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، الثالثة ١٣٩٢هـ، دار النهضة.
- أدب الدنيا والدين للماوردي.
- اقتضاء الصراط المسقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور ناصر العقل.
- الإيمان لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق العلامة الألباني، دمشق ١٣٨٥هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ١٩٧٣م، دار الجيل.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تعليق طه يوسف شاهين، مكتبة القاهرة.
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد السعوي.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق البنا وعاشور وغنيم، مطبعة الشعب.
- جامع الأصول، مجد الدين المبارك بن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، الأولى ١٣٨٩هـ، مكتبة الحلواني بيروت.
- جامع الرسائل، جمع د. محمد رشاد سالم، دار المدني.

- الدر المنثور للسيوطي.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، تحقيق محمد حامد الفقي، أنصار السنة.
- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل.
- الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاكر.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، الثانية، المكتب الإسلامي.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تعليق عزت الدعاس، دار الدعوة، مصر.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تعليق عزت الدعاس، دمشق.
- السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد القحطاني، دار ابن القيم الدمام.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد، طيبة الرياض.
- الشريعة للإمام الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، أنصار السنة.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، السلفية بمصر.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- الصلاة، للحافظ ابن القيم الثانية ١٣٩١هـ، السلفية بمصر.
- صون المنطق والكلام للسيوطي، تحقيق علي النشار.

- العقيدة في الله للدكتور عمر الأشقر، ١٣٩٩هـ مكتبة الفلاح بالكويت.
- عمل اليوم والليلة، للحافظ النسائي، تحقيق فاروق حمادة، الرسالة.
- العوائق، محمد أحمد الراشد، الأولى، دار الرسالة.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، مطبعة أنصار السنة.
- الفوائد لابن القيم، الثالثة ١٣٩٦هـ، مكتبة الجامعة بالقاهرة.
- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله عباس، جامعة أم القرى.
- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، دار الشروق.
- القصيدة النونية، لابن القيم، إدارة ترجمان السنة، باكستان.
- مجمع الزوائد، للحافظ أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب.
- المدخل لدراسة العقيدة، د. إبراهيم البريكان، مكتبة السنة بالخبر.
- مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، أنصار السنة.
- مرويات غزوة الحديبية، د. حافظ الحكمي.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي.
- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي.
- معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق عمر أبو عمر، ابن القيم بالدمام.

- معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق.
- المعجم الكبير، للإمام الطبراني، تحقيق حمدي السلفي.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، جمع من المستشرقين، الناشر ونسنك.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.
- مفتاح الصحيحين، محمد الشريف مصطفى، دار الكتب العلمية.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث.
- الوسطية للدكتور، ناصر العمر، الأولى، دار الوطن الرياض.

# الفهرس

# رسائل ودراسات في منهج أهل السنة

**صدر منها:**

١ - **مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة /**
د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٤ ر. س)
٢ - **مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة /**
د. ناصر بن عبد الكريم العقل (١ ر. س)
٣ - **التبرك المشروع والتبرك الممنوع /**
د. علي بن نفيع العلياني (٤ ر. س)
٤ - **التمائم في ميزان العقيدة /**
د. علي بن نفيع العلياني (٣ ر. س)
٥ - **الرقي على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.**
**وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفة /**
د. علي بن نفيع العلياني (٣ ر. س)
٦ - **من تشبه بقوم فهو منهم /** د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٣ ر. س)
٧ - **منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم /**
أحمد عبدالرحمن الصويان (٣ ر. س)
٨ - **الإخلاص والشرك الأصغر /**
د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٢ ر. س)
٩ - **وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق (مجلد) /**
جمال بن بشير بادي (١٨ ر. س)

١٠ ـ موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية.
«عوائق الإنطلاقة الكبرى» /
محمد بن عبدالهادي المصري (٢ ر. س)
١١ ـ التلازم بين العقيدة والشريعة /
د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٢ ر. س)
١٢ ـ العلم أصوله ومصادره ومناهجه /
محمد بن عبدالله الخرعان (٤ ر. س)
١٣ ـ القول السديد شرح كتاب التوحيد /
للإمام المجدد / محمد بن عبدالوهاب /
فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن ناصر السعدي (٥ ر. س)
١٤ ـ الهوى وأثرة في الخلاف / د. عبدالله بن محمد الغنيمان (٢ ر. س)
١٥ ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى /
فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (٥ ر. س)
١٦ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية /
فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (٤ ر. س)
١٧ ـ مباحث في عقيدة أهل السنة.
وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها /
د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٦ ر. س)
١٨ ـ الأكفار والتشهير ضوابط ومحاذير.
راجعه فضيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين /
عبدالله بن محمد الجوعي (٤ ر. س)
١٩ ـ الافتراق، مفهومه، أسبابه، سبل الوقاية منه /
د. ناصر بن عبدالكريم العقل (٣ ر. س)
٢٠ ـ الاستهزاء بالدين وأهله / د. محمد بن سعيد القحطاني (٤ ر. س)

٢١ ـ **مقالات في المذاهب والفرق /**

د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٣ ر. س)

٢٢ ـ **أبحاث في الاعتقاد /**

د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٣ ر. س)

٢٣ ـ **مذكرة التوحيد /** فضيلة الشيخ / عبدالرزاق عفيفي (٥ ر. س)

٢٤ ـ **حكم الله وما ينافيه /**

د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٤ ر. س)

٢٥ ـ **مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد /**

عثمان علي حسن (٥ ر. س)

٢٦ ـ **قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد /**

عثمان علي حسن (٥ ر. س)

٢٧ ـ **مواقف أهل السنة من المناهج المخالفة لهم /**

عثمان علي حسن (٤ ر. س)

٢٨ ـ **حكم مخالفة أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد /**

عثمان علي حسن (٤ ر. س)

٢٩ ـ **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد /**

فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (٤ ر. س)

٣٠ ـ **إن الله هو الحكم /**

محمد شاكر الشريف (٥ ر. س)

٣١ ـ **معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة (مجلد) /**

محمد عبدالهادي المصري (١٠ ر. س)

٣٢ ـ **الفسق معناه وأقسامه /**

د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٢ ر. س)

٣٣ ـ **التوحيد أولاً :**
**تقديم فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين /**
د. ناصر بن سليمان العمر (٣ ر. س)
٣٤ ـ **مقدمات في الاعتقاد /** د. ناصر بن عبدالله القفاري (٤ ر. س)
٣٥ ـ **كشف الشبهات للإمام المجدد / محمد بن عبدالوهاب /**
حققه وعلق عليه / أبو أنس الحسين عمر مروزي (٣ ر. س)
٣٦ ـ **منهج الماتريدية في العقيدة /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٣ ر. س)
٣٧ ـ **بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٣ ر. س)
٣٨ ـ **الأسئلة والأجوبة في العقيدة /**
الشيخ / صالح بن عبدالرحمن الأطرم (٣ ر. س)
٣٩ ـ **بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٣ ر. س)
٤٠ ـ **بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٣ ر. س)
٤١ ـ **بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٤ ر. س)
٤٢ ـ **شرح العقيدة الطحاوية الميسر /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٦ ر. س)
٤٣ ـ **التبيان شرح نواقض الإسلام (للإمام محمد بن عبدالوهاب)**
سليمان بن ناصر العلوان (٤ ر. س)
٤٤ ـ **شرح القيروانية الميسر /** (مقدمة القيرواني المسمى بمالك الصغير)
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٦ ر. س)

٤٥ ـ **بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة /**
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس (٣ ر . س)

٤٦ ـ **معالم في السلوك وتزكية النفوس /**
د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٦ ر . س)

٤٧ ـ **التوحيد وأثره في حياة المسلم /**
حمد بن إبراهيم الحريقي (٤ ر . س)

٤٨ ـ **أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة /**
د. ناصر بن عبدالله القفاري (٨ ر . س)

٤٩ ـ **نواقض الإيمان القولية والعملية (مجلد) /**
د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف (٢٠ ر . س)

٥٠ ـ **مسائل هامة في توحيد العبادة /**
د. محمد بن سعيد القحطاني

**توزيـــع:**
**مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان**
ص.ب : ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

**مطبعة سفير** تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض